وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل(ط1): **181835083663**

رقم التسجيل(ط2): **181835077744**

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر **LMD**، تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

الأصول المعرفية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

إعداد الطالبتين:

– وردة لطيسة

– أسية حديدي

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	بلقاسم جياب	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	جلول دقي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	عبد الصمد لميش	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ. 2023/2022م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقنا لإتمام هذا العمل راجين منه الرضى والقبول اما بعد:

نتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان والامتنان الى استاذنا الفاضل" دقي جلول" الذي لم يدخر جهدا علما في سبيل ما أولاه لهذا البحث من عناية وتوجيه بأفكاره الصائبة التي ساهمت في انجاز هذه المذكرة، فله منا اصدق واسمى عبارات التقدير والاحترام

كما لا يفوتنا ان نتوجه بالشكر الخالق الى اسرة كلية الآداب واللغات و قسم اللغة العربية، والى كل من قدم لنا يد العون طيلة مسيرة هذا البحث

مقدمة

بسم الله ولحمدلله والصلاة والسلام وعلى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تعددت الدراسات التي تناولت نظرية النظم وتعددت الآراء التباينة في مختلف البحوث ، التي تحدثت حول الجوانب المضيئة التي ميزت نظرية النظم وقد تضاربت الأفكار حولها والسبب ذلك يعود إلى شهرتها ومؤلفاتها ككتاب علم البيان وأسرار البلاغة ، ولهذا جاءت الدراسات لتكنل أفاق البحث ، وقد اتيعنا في بحثا المنهج الوصفي ويعود اختيارنا في هذا البحث المعنون بالأصول المعرفية لنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني قد الاجابة عن بعض التساؤلات هذا ما دفعنا الى البحث في موضوع هذه النظرية ، فمن خلال هذه الدراسة يمطننا صياغة اشكالية هذا البحث كما يلي :

- ماهي الأصول المعرفية لنظرية النظم؟
- ماهي نظرية النظم؟
- ماهي الأسس التي تبنى عليها؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وضعنا خطة تتكون من مقدمة ثم مدخل وفصلين ثم خاتمة

ففي المقدمة عرضنا اشكالية الموضوع، ومنهج البحث وعناصره ومصادر المعلومات التي اعتمدنا عليها ، أما المدخل فسمينا بدراسة حول نظرية النظم من حيث اللغة والإصطلاح .

أما الفصل قمنا بضبط فكرة النظم عند العلماء العرب ، وفيه تطرقنا الى هذه الفكرة وأشرنا الى مختلف الإشارات الدالة على وجود هذه النظرية عند علماء الإعجاز القرآني.

أما فسميناه بعنوان نظرية النظم عند الجرجاني والذي تطرقنا فيه الى مختلف الدعائم التي أرسى بها قواعد هذه النطرية ، وأهم الأسس التي بنيت عليها هذه النظرية .

وأنهينا بحثنا بخاتمة كانت خلاصة ما توصلت اليه الدراسة متبوعة بملاحق وقائمة مصادر ومراجع وكأي بحث علمي ، فقد ودهتنا جملة من العراقيل التي بقدر ما أتعبتنا طلية أيام البحث ، فقد زادتنا إصرار وعزيمة ، ولعل أهم عائق هو صعوبة الموضوع نوع ما ، اضافة الى ذلك قلة المراجع التي تناولت الموضوع ، ورغم من كل هذه ، وبفضل الله وعونه ، وبفضل المجهودات المبذولة ن وفقنا في اتمام بحثنا والحمدلله.

وفي الأخير فاءنا رحلة البحث كانت شاقة صاحبتها بعض الصعاب ، إلا أن كل يهون في سبيسل على الحصول على العلم والمعرفة يظل هذا الموضوع مفتوح قبابلا للإضافة لأن نظرية النظم بحر شاسع من المعلومات ومادرستا إلا قطرة منه ، ونسأل الله ﷻ مزيدا من فيضه وأن يتقبل علمنا هذا، فاءن أصبنا فلنا أجران وإن أخطنا فلنا أجر واحد ، والله ولي التوفيق نرجوا أن نكون ألممنا بأهم نقاط الموضوع وختاما نوجه الشكر لله ثم للأستاذ لطوله صبره علينا.

مدخل

مدخل

تعريف النظم:

أ لغة

ب اصطلاحا

أ- النظم في اللغة : جاء في لسان العرب " نظَم، النُظم التأليف ينظمه نظما ونظاما ، وننظمه فانتظم وتنظم ، ونظمت اللؤلؤ ، أي جمعته في السلك والتنظيم مثله .

ومنه نظمت الشعر ، ونظمته ونظم الامر على المثل وكل شيئ قرنته بآخر ضممت بعضه الى بعض فقد نظمته ، والنظم المنظوم وصفا بالمصدر .

والنظم : ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما ونظام كل امر : ملاكه وجمع انظمة وأناظيم ونظم والانتظام الاتساق [1]

النظم في الاصطلاح : ورد في معجم التعريفات

" النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، وقيل : الالفاظ المترتبة والمسوقة والمعتبر دلالتها ما يقتضيه العقل"[2]

- وجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والعرب بأن النظم هو : التأليف الشعري عامة الذي يلتزم قواعد متواضع عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة ، وهو عند عبدالقاهر الجرجاني ترتيب الكلمات وتنسيق بينها ، بحيث يأخذ بعضها ببعض ولذلك يوجب على الأديب أن يدرس النحو اذ به يعرف ما يُنشئ عن الكلمات حين تتغير مواضها من المعاني المتجددة المختلفة... الكلمة المفردة لا قيمة لها عنده قبل دخولها في التركيب ، ودليل ذلك انك ترى الكلمة فتروقك في موضع ، ثم تراه هي بعينها في موضع آخر فتعفها .

فالبلاغة عند عبد القاهر ترجع الى اللفظ لا لذاته بمفرده ، بل باعتباره افادته المعنى عند التركيب ، قوام الادب في نظره المعنى والفظ تابع له ، وقد يعني النظم فرض الشعر[3]

اما عبد القاهر الجرجاني فانه يعرف النظم بأنه : تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض [1] كما يجعل وجوه التعلق ثلاثة : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما ، ويشرح وجوه التعلق شرحا وافيا ...

[1] بن منظور : لسان العرب ، تح: محمد الصادق العبيدي وأمين عبد الوهاب ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط1،

[2] الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تح : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص203.

[3] مجدي وهيبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط4، 1982م، ص414.

ويؤكد أن : نَظْمَ الكلام يقتضي فيه آثار المعاني وترتيبها حسي ترتيب المعاني في النفس .[2]

وليس النظم في مجمل الامر عنده الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانيه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها [3]

فمدار النُظم عند عبدالقاهر الجرجاني هو : معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي شأنها أن تكون فيه ، ولا معنى النظم عنده الا تُوفِي معاني النحو فيما بين الكلم ، فلا معنى للنظم غير توفي معاني النحو وأحكامه فانك ان عمدت الى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها ببعض من غير أن تتوفى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئ تدعى به مؤلفا ، وتشبه معه بمن عمل نسجا أو صنع على الجملة صنيعا ، ولم يتصور أن تكون قد تخيرت لها المواقع[4]

مفهوم النظم لغة واصطلاحا :

- جاء في معجم العين : نظم ، النُظم ، نظمك ،خرز بعضه الى بعض في نظام واحد وهو في كل شيئ حتى قيل : ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، والنظام : كل خيط ينظم لؤلؤ أو غيره فهو نظام [5]
- وفي الصحاح العربية : نظمت اللؤلؤ ، أي جمعته في السلك وتنظيم مثلا ، ومنه نظمت الشعر ونَظَمتُهُ، والنظام : الخيط الذي ينظم به الؤلؤ ...ويقال لثلاثة كوكب من الجوزاء : نُظمٌ.[6]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تع : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2، 1998م ، ص15.
[2] المصدر نفسه ، صص51.
[3] المصدر نفسه ، ص70.
[4] المصدر نفسه ، ص74و240.
[5] الخليل بن احمد الفراهيدي : كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي[د.ط]، [د.ت]، 8ص165.
[6] الجوهري : الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية ، تح : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط3، 1984م ، ص2041.

- وجاء في مختار الصحاح : نظم : الؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب ، ونظمه تنظيما مثله ، ومنه نظم الشعر ونظمه ، والنظام الخيط الذي ينظم به الؤلؤ ، ونظم من لؤلؤ وهو في الأصل مصدر .والنظام الاتساق .[1]
- وفي لسان العرب : نظم : النُظم : التأليف ، نظمه يُنظمه نظما ونظمه فانتظم وتنظم ، نظمت الؤلؤ أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله ومنه نظمت الشعر نظمته ونظم الأمر على المثل . وكل شيئ قرنته بآخر أو ضممته بعضه الى بعض فقد نظمته ...

والنظام كما نظمت فيه الشيئ من خيط وغيره وكل شعبه منه وأصل النظام ، نظام كل أمر ملاكه ، والجمع أنظمة واناظيم ونظم .[2]

◉ وفي صحاح المنير : نظمت الخرز نظما من باب ضرب ، جعلته في سلك ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد : أي نهج غير مختلف : ونظمت الشعر نظما [3]

مصطلح النُظم اصلاحا :

* قال فخر الدين الرازي : << خلوص الكلام من التعقيد ، واصله من الفصيح وهو اللين الذي اخذت منه الرغوة >>.[4]

* ويعرِّفه الجرجاني بقوله : اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيئ منه .[5]

---

1 محمد بن أبي بكر بن عبد الرازي ،: مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، [د ط] ، 1981م ،ص668.
2 ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، ط3، 2004م، ص578.
3 أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، ص612.
4 صالح بلعيد : نظرية النظم ، نقلا عن فخر الدين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص161.
5 عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تح : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط3، 2001م ، ص63.

*ويقول الدكتور صالح بلعيد : << هو تأليف وضع مجموعة من العناصر المتحدة في العملية اللغوية ليكون الكلام حسنا حسب خصائص معينة هي :

- حُسن الاختيار لأصوات الكلمة
- تعليق الكلمة في ذاتها
- تعليقها في بما يجاورها وليس بضم الكلمات كيف ما جاءت .
- مراعاة الموقع النحوي الأصيل حسب ما تقضيه بيئة العربي .
- مراعاة المعنى المباشر السطحي غير المنزاح ، والمعنى غير المباشر (المنزاح)[1]

النظم في اللغة

النًظم نظُمك خرزا بعضه الى بعض في نظام واحد ، وهو كل في كل شيئ حتى قيل : ليس لأمر نظامُ ، اي لا تستقيم طريقته .

والنظام : كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام ، والجميع نُظِم ، وفعلك النظم ، والتنظيم ... والانتظام : الاتساق والنظم دُرُ ونحوه مما ينظم .[2]

والنظم : اسم لبعض كواكب الثريا ، والنظم من الارض ما كان من غُدران صغار وصل بعضها الى بعض فصارت منظومة .[3]

ونَظمَ يُنظم نَظماَ ونِظاماَ، والنظام كل منظوم ، ويقال : << نَظمت و نَظًمتُ نَظماَ وتنظيما >>.[4]

والنًظم : التأليف ، نظمه ينظِمهُ نظما ونِظاما ، نظمه فانتظم وتنظم ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في سلك والتنظيم منه ، ومنه نظمت الشعر ونَظًمتُهُ، ونظم الأمر على المثل ، وكل شيئ قرنته بآخر أو ضممت بعض الى بعض فقد نظمته.[5]

[1] صالح بلعيد : نظرية النظم ، ص93.
[2] الخليل بن احمد الفراهيدي : العين ، مصدر سابق ، ص
[3] الصاحب بن عباد : المحيط في اللغة ، www.olwhhaq.comباب الظاء والنون والميم ،ص
[4] بن دريد :جمهرة اللغة، مجلس دائرة المعرف العثمانية ، حيدر أباد ، ط1، 1344هـ،باب الظاء والميم وما بعدها من حروف
[5] بن منظور : لسان العرب ،دار صادر ، بيروت ، ط1، مادة (نَظَمَ)

وهذا المفهوم من شأنه أن يدلنا على رد تلك المعاني المختلفة الى الدلالة الاصلية لمادة نظم التي تدل على ماهيته ، وهو الاتساق والترتيب والائتلاف والتناسب بين الاجزاء ، فاءن نظم حبات اللؤلؤ في الخيط يستوجب التناسب في احكام الصنعة ليبدوا العقد سليما في مظهره ، وكذلك نظم الكلام يتطلب دقة الاحِكام ووضع كل لفظة بجانب أختها ضيع ناظم اللؤلؤ ، وحائك الخيوط.[1]

ونستخلص من التعريف اللغوي لمادة " نَظَمَ" أنه هو الترتيب والتأليف والتنظيم إلا أن ثمة فرق بين الترتيب و التاليف يستعمل فيما يؤلف استقامة أو اعوجاج ، والتنظيم و الترتيب لا يُستعملان إلا في ما يُؤلف على استقامة ، ومع ذلك فاءن بين التنظيم والترتيب فرقا ، وهو ان الترتيب وضع الشيئ مع شكله والتظيم كل شيئ منها مع ما يظهر به لونه [2]

النظم في الاصطلاح

أما تعريف النظم في الاصطلاح فلا أستطيع أن أجزم بخلو كتب البَلاغيين واللغويين القدامى منهم وتحديد قبل عبدالقاهر الجرجاني الذي لم يعد النظم عنده مجرد اصطلاح ، بل أصبح نظرية متكاملة يتناولها العلماء ، كل من وجهة نظره منذ الزمن القديم وحتى يومنا هذا ، ولكني أحسب ما جاء في كتبهم متعلق بالنظم ، و كان عبارة عن إشارات تُفهم من سياق الحديث عنه وهذا ما سيتضح أمره في الجزء المخصص لهذا البحث.

ولعل الذي يؤيد ما ذهبت اليه في الفقرة اعلاه ، فيما يختص بخلو كتب القدامى من المعنى الاصطلاحي للنظم وهو ما قاله الجرجاني ذاته عن سبب تاليفه دلائل الاعجاز قال : << ولم أزل منذ خدمتُ العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها ،فأجد بعض ذلك كالرمز والايماء ، والاشارة في خفاء وبعضه كاتنبيه على مكان الحبأ ليطلب ، وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب لتسلكه ، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها ، ووجد المعول على أن هاهنا نظما وترتيبا ، وتأليفا تركيبا وصياغتة وتصويرا ، ونسجا وتحبيرا >>.[3]

[1] انظر : نجاح أحمد عبدالكريم الظهار ، أثر استخدام النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التذوق الأدبي لدى طالبات اللغة العربية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1، 1427هـ،ص72.

[2] أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، ط 4 ، ص 138.

[3] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تع: محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ط3، 1413هـ، ص34.

وفي وضع آخر يقول : << ولا يكفي أن تقولوا إنه خصوصية في كفية النظم وطريقه مخصوصة فيى نسق الكلم بعضها على بعض حتى تصفو تلك الخصوصية وتُبنيها وتذكر لها أمثلة>> .[1]

ان اول تعريف إصطلاحي في تصريح للنظم ، قد كان في القرن الخامس هجري والذي جاء به شيخنا الجليل

عبدالقاهر الجرجاني471هـ

يفتح عبد القاهر كتابه بتوضيح معنى النظم فيقول : << معلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسب من بعض>> [2]

وفي موضع آخر يقول : << النظم هو تُوْفي معاني النحو في معاني الكلم >>[3]

وفي القرن التاسع هجري نجد تعريف اخر للنظم في كتاب التعريفات لصاحبه

علي بن محمد الجرجاني : تاريخ 814هـ

وقد عًرف النظم أنه : تأليف الكلمات الجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، وقيل الالفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل .[4]

وفي العصر الحديث نجد تعريف

محمد زغلول سلام

والذي يرى أن النظم بمعنى سبك الالفاظ ، وضم بعضها الى بعض ، في تأليف دقيق بينها وبين المعاني ، فيجريان في سلالة وعذوبة كالجداول لا تعثر و لا كلفة ، ولا حشو في اللفظ ولا زيادة أو فضول [5].

وكذلك تطرقت الى تعريفه

---

[1] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص35.

[2] المصدر نفسه ص4.

[3] المصدر نفسه ،ص84.

[4] علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات ، تح : إبراهيم الآبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1405هـ، مادة نَظَمَ

[5] محمد زغلول سلام :أثر القرآن في تطور النقد العربي ، القاهرة ،ط3، ص108.

مليكة حفان

والنظم عندها : عملية تأليف الكلام على نمط خاص بجمع الكلم التي هي الالفاظ وضم بعضها الى بعض ، وقرن أول لها بآخر على نسق وترتيب خاص وفق قواعد اللغة والنحو و غيرها .[1]

وجاء في معجم الوسيط : نظم الاشياء نظما : ألفها وضم بعضها الى بعض ، واللؤلؤ ونحوه جعله في سلك ، وانتظم الشيئ : تألف واتسق ، ويقال : << نظمه فانتظم ، وانتظم أمره : إستقال والاشياء جمعها وضم بعضها الى بعض ، وتناظمت الاشياء وتضامت وتلاصقت>> ... ويقال : نظم القرآن عبارته التي تتشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة ، والتنظيم والمنظوم ، ومن كل شيئ ماتنا سقت أجزاءه على نسق واحد .[2]

---

[1] مليكة حفان : النظم القرآني وعلاقته بالفظ والمعنى عند البقلاني ، مقال في مجلة ديوان العرب ، 24 مارس 2007م، عبر الموقع الإلكتروني www.diwonla-nab.com.

[2] مجمع اللغة العربية :معجم الوسيط، القاهرة ط3، ج2، 1998م، ص970.

الفصل الأول

الفصل الأول: فكرة النظم عند العرب

أولا : النظم عند العرب

1: عند علماء الاعجاز القرآني

أ- عند الرُّماني

ب- عند الخطابي

ت- عند الباقلاني

2الروافد النحوية

أ- عند سيبويه

3: الروافد البلاغية

أ- النظم عند أبو هلال العسكري

ب- عند الجاحظ

1عند علماء الإعجاز القرآني

تمهيد :

كان لقضية إعجاز القرآن الكريم أثر كبير في بلورة (النظم)، وإن ما وصلنا من كلام يتصل بإعجاز القرآن يرجع إلى القرن الثالث هجري ، بعد ازدهار حركة الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية ، ولاسيما اليونانية فضلا عن ظهور بعض الفرق الكلامية ، كالمعتزلة إذ ذهب إبراهيم النظام 231هـ، ـ من بينهم ـ إلا أن القرآن الكريم معجز بالصرفة ، أي أن الله ـ عز وجل ـ صرف العرب عن معارضة القرآن الكريم ، مع قدرتهم عليها ، فكان هذا الصرف خارقا للعادة .

وقد يكون معنى (الصرفة) هو أن للبشر إمكانيات محدودة ، ليس لأحد منهم أن يتجاوزها ، ومن ثم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن ، على أن لله تعالى إمكانيات مطلقة لا تتوفر لبني البشر .وقد ألف في قضية (إعجاز القرآن قبل عبد القاهر الجرجاني كثير من العلماء.

النظم عند الباقلاني

كرس الباقلاني جُل جهده في كتابه (إعجاز القرآن) للدفاع عن القرآن الكريم ، أمام كيد الكائدين ومزاعم الملحدين والمغرضين ، التي يريد بها أصحابها الغض من شأن كتاب الله العزيز ، الآية الكبرى الدالة عن صِدق النبوة ، كما كرس جهده للرد على أصحاب الفرق الإسلامية المخالفة وخاصة المعتزلة ، الذين عللوا الإعجاز القرآني بالصرفة وبما فيه من وجوه بلاغية ، والوان بَدَيعِية.

ولا يكون هذا الدفاع مجديا إلا اذا اثبت القرآن الكريم هو معجزة النبيﷺ ، وأظهر تفوق الأسلوب القرآني والبلاغة القرآنية ، عن أسلوب العرب وبلاغتهم ، لذلك اعتبر الباقلاني البحث في إعجاز القرآن والكشف عن أسراره أهم وأولًى من البحث في العلوم اللغوية أو النحوية أو الاشتغال بعلم الكلام ، لأن "أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، ,أولى ما يلزم بحثه ، ما كان لأصله دينهم قواماَ " ، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما ، وعلى صدق نبيهم ﷺ برهانا ، و لمعجزته ثبتا وحجة ، ولاسيما أن الجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، متسول على الآفاق ".[1]

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن ، تح : أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط5، ص3-4.

وقد كانت قضية التحدي مثار اهتمام الباقلاني وهو بصدد الدفاع عن القرآن الكريم لأنه اذا وقع التحدي وثبت العجز ، فان ذلك دليل قاطع على صحة النبوة ,أن القرآن الكريم كتاب الله المنزل رسولهﷺ, ,انه معجزته الخالدة التي تحدى بها الجن والإنس . وقد ثبت أن الله تعالى قد تحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن .[1]

وفي علو أسلوبه وبالغ حكمته فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مماثلة في النظم وما استطاعوا ، ثم ردهم عشر سور إلى سورة واحدة من مثله ، تماثله في لفظه ونظمه وفصاحته وأسلوبه مبالغة في التحدي وتصغيرا للشأن ، بالنزول عن التحدي من مثل القرآن كله إلى سورة واحدة ، بل بآية واحدة فعجزوا وما استطاعوا ذلك، ليسجل القرآن في نهاية المطاف هزيمتهم في باب البلاغة والفصاحة

فقال تعالى﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2] سورة الإسراء :الآية 88.

واذا ثبت عجز العرب على عهد النبي ﷺ عن معارضة القرآن ، وعن الإتيان بمثله ، فغيرهم أعجز لقصورهم عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وفي القدرة على صياغة الكلام نظما و نثرا ، ولأن فصاحة أولئك في وجوه ما كاموا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم ، ,احسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم .[3]

أما غير العرب فلا يمكنهم معرفة إعجاز القرآن إلا بأن يعلموا عجز العرب عن الإتيان بمثله ، فهل مع هذا التحدي المستمر المثير يصدق منصف أن القوم لم تكن لديهم رغبة في المعارضة ،وأن الله صرف عنهم دواعيها مع قدرتها عليهم ، إن القول بالصرفة ضرب من العبث ينبغي عن المتكلمين عامة ، والمعتزلة خاصة ، أن ينزهوا عنها أنفسهم وعقولهم ، إذ كيف يطلبوا الله من العرب الفصحاء الإتيان بمثل القرآن أو بشيء منه تحديا لقدرتهم البيانية ، في حين يسلبهم القدرة على المعارضة ، والإتيان بمثل القرآن ،

[1] مليكة حفان : قضية الإعجاز القرآني وأثرها في ثنائية اللفظ والمعنى خلال القرنين الرابع والخامس هجريين ، ص87ومابعدها من أطروحة لنيل الدكتوراه ، جامعة سيدي محمد بن عبدالله ، كلية الآداب ، ظهر المهراز ، فاس ،المغرب ،1425هـ/2004م.

[2]

[3] الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص250.

فالعكس هو الصحيح ، إن القرآن الكريم آثار فيهم تلك الدواعي ، وهيج أنفسهم لها ، ليبذلوا أقصى ما عندهم في الإتيان بمثله فلم يستطيعوا ، ولو كانت "المعارضة ممكنة ـ وإنما منع منها الصرفة ـ فلم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة عن غيره في نفسه ".[1] فحقيقة الإعجاز عند الباقلاني أنه لا يقدر عليه العباد لأنهم لو قدروا عليه لبطل الإعجاز

مفهوم النظم عند الباقلاني : لاشك أن الباقلاني انطلق من مبادئ الأشاعرة في تصوره لنظرية النظم ، و خاصة عقيدتهم في الكلام ، وقد رأينا شدة تقيده في المذهب الأشعري وتمسكه بأقوال وآراء الإمام أبي الحسن الأشعري ، فللأشاعرة موقف خاص من كلام الله ، فهو مركب من الكلام القديم القائم بذاته تعالى ، ومن الحروف المنظومة والأصوات المقطعة التي هي عبارة عن كلام الله ودلالات عليه وأمارات له ، ويقول الباقلاني : << فالكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس ، لكن جُعل عليه أمارات تدل عليه ، فتارة تكون قولا بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه وجرى عرفهم به ، وجعل لغة لهم ... و قد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط ، فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق في اللسان .>>[2]

إن هذه العقيدة الأشعرية في كلام الله قائمة على الكلام النفسي كانت توجه مواقف الأشاعرة في بحثهم لثنائية اللفظ والمعنى ، وتحدد مفهومهم للإعجاز ، فالنظم حسب هذه العقيدة نظم واقع في المعاني وترتيب للكلام النفسي أو المعاني النفسية ، لذلك وجه الأشاعرة عنايتهم للمعاني بحكم سبقها وأصالتها ، أما الألفاظ فهي خادمة للمعاني وتابعة لها ، وتتنزل في النطق بحسب ترتيب معانيها في النفس ، فمزية النظم في معانيها دون ألفاظها ويقول الباقلاني : << فليس الإعجاز رفي نفس الحروف ، وإنما هو في نظمها وأحكام رصفها ، كونها على وزن ما أتى به النبي ﷺ ، وليس نظمها

[1] المصدر نفسه ، ص30.
[2] الباقلاني : الإنصاف ، تح : محمد زاهدين الحسن الكوفي ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، 1950م، ص94.

أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود ، وليس لها نظم في سواها وهو كتتابع الحركات إلى السماء ، ووجود بعضها قبل بعض ، ووجود بعضها .>>[1]

اذا كان النظم كما يقول الباقلاني هو المادة العضوية الرابطة بين الألفاظ وتلمعاني ، فما هو سبب هذا الارتباط؟ وبما يكون ؟ وعن أي شيء يحدث ؟ وما هي الأمور التي تقوي الارتباط بين أجزاء العبارة ؟

لعل الإجابة عن هذه الأسئلة تكمن في النص السالف ذكره على لسان الباقلاني الذي كان يفهم النظم على أنه تأليف العبارة وبناء النص بناء تراعي فيه العلاقات ، ملائمتها لمواضعها التي وُضعت فيه ، فتحدث عن التقديم والتأخير وتتابع الحركات ، ، كنه لم يسطع أن يُبين شيء من هذا المعنى ، أو يقدم مفهوما واضحا له ، فربطه بالأسلوب الذي صار به القرآن معجزة فقال : << ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص ، وقبيل عند النظير المتخلص.>> [2]

ويقول أيضا : << و ذلك أ، نظم القرآن تصرف ووجوه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود في نظام جميع كلامهم ، مباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ، وتمزى في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد .>> [3]

إن هذا الوصف المجمل لمفهوم النظم غير كاف لأنه لا يحدد ما يقصده بالنظم ، الذي صار به القرآن معجزا تحديدا دقيقا واضحا ، ومن شأن هذا الوصف المجمل أن يحجب عن الناطر الجهة التي تعرض منها المزية وفهمها على وجهها ، وهو العيب الذي وقع فيه الباقلاني حين ، ربط إعجاز القرآن بنظمه من دون أن يفسر هذا النظم ويعطيه مضمونا ملموسا يتبين به أثره في بلاغة النص ، اذا" لا يكفي أن تقول أنه خصوصية في كفية النظم وطريقة مخصوصة الكلم بعضه مع بعض ، حتى تصفو تلك الخصوصية وتبينوها وتذكر لها أمثلة "[4]

---

[1] الباقلاني : التمهيد ، تح : عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط1، 1987م، ص177-178.
[2] إعجاز القرآن ، ص159.
[3] المصدر نفسه ، ص35.
[4] دلائل الإعجاز ، ص36.

ورغم كل هذه الملاحظات ، فإننا لا يمكننا التقليل من جهود الباقلاني ، فبتفسيره للنظم على هذا الوجه ، يكاد يقترب من مفهوم عبد القاهر له " فقد انضبطت دلالته لدى الباقلاني فيما يمكن أن يوصف بالعلاقات ، وطرق ضم الكلمات بعضها إلى بعض دون أن يتسنى له تحديد أساس عميق للضم "[1]

ولعل غياب الأساس اللغوي أو النحوي عن تصور الباقلاني جعلت جهوده لا ترقى إلى تأسيس نظرية في النظم تقوم على أسس نحوية وترتكز على أصول الفكر الأشعري وهو الأمر الذي يستولي إنجازه خلفه الأشعري عبد القاهر الجرجاني الذي اكتملت على يده وتحددت تحديدا واضحا حيث يقول : واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم،و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك وهذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس... وإذا كان لا يكون في الكلام نظم ولا ترتيب، إلا بان يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته، بان بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس[2]

فمفهوم الجرجاني للنظم يتمثل في أنه تعليق للكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، توخي معاني النحو بين الكلام حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام، وان ميزة النظم البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف، وترتبت ترتيبا معلوما، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام حسب ترتيب معانيها في النفس.

إن المشكلة الحقيقية عند الباقلاني والأشاعرة على وجه العموم تكمن في هذه الثنائية بين الكلام النفسي القائم بذاته تعالى وهو الكلام الحقيقي، وبين العبارة عنه من خلال الحروف المنظومة والأصوات، فإذا كان إعجاز النص في نظمه وتأليفه، فما هو النظم

[1] الأخضر الجمعي : ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم بيئات المتكلمين والفلاسفة ، أطروحة لنيل دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، 1988م ، ص273.
[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص55-56.

والتأليف الذي وقع به الإعجاز؟ هو الحروف المنظومة؟ أم الكلام القائم بالذات؟ أم غير ذلك؟

يقول الباقلاني" لسنا نقول بان الحروف قديمة، فكيف يصح التركيب على الفاسد ولا نقول أيضا إن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجل أنه حكاية عن كلام الله، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله معجزات في النظم والتأليف، وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك، يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها منفردها وقد ثبت خلاف ذلك[1]

أن القول بأن القرآن معجز في نظمه وتأليفه من حيث كونه عبارة عن الكلام القديم، يعني أن التوراة والإنجيل معجزات لأنها عباره عن الكلام القديم، وقد علمنا أن معجزه هذه الكتب السماوية في غير النظم والتأليف، وإن معجزتها بأمر خارج عنها، فمعجزة موسى عليه السلام في العصا واليد البيضاء، ومعجزة عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه وإحياء الموتى بإذن الله، ومن ثم لم يصح القول بأن القرآن الكريم معجز من حيث كونه عبارة عن الكلام القديم.

لذلك انشغل الباقلاني بمحاولة التوفيق بين الاعتقاد بأن القرآن غير مخلوق وبين الاعتقاد بانه معجز، في القرآن قديم قدم ذاته تعالى وإعجازه واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، والى مثل هذا الكلام وقع التحدي، لأنه الكلام الذي يقع فيه التفاضل والتفاوت، أما الكلام القديم فلا يصح فيه التحدي لأنه لا يقدر عليه البشر، يقول الباقلاني:<< الذي تحداهم به، أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها مطردة واطرادها، ولم يتحداهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له، وإن كان كذلك في التحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات له>>.[2]

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن ، تح : احمد صقر حالة ، دار المعارف ، مصر ،ص47.
[2] الباقلاني : إعجاز القران ، مصدر سابق ، ص280.

يكون الباقلاني بهذا القول متفقا مع المعتزلة في تصورهم للإعجاز، فهو عندهم في الكلام المؤلف من الأصوات، وفي الصورة السمعية للكلام، لذلك فان انتصار الباقلاني للمعان على حساب الألفاظ يعد باهتا في ثنايا كتابه، اللهم بعض العبارات من مثل قوله" إنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر[1]

ولا نذهب بعيدا اذا قلنا أن الباقلاني: << قد استقى كثيرا من آرائه في الإعجاز من تلك الإشارات التي وردت على لسان بعض علماء المعتزلة، فهو لا يبعد كثيرا في ومفهومه للإعجاز عن رأي الجاحظ والرماني، حيث يقول " أن نظم القرآن خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد>>.[2]

وهذا الحكم يتفق مع رأي الجاحظ في الإعجاز، فالمشهور عنه أنه كان يرى الإعجاز في نظم القرآن وتأليفه، وان نظمه يخالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار و الأسجاع، وان نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أخبار الحجج[3]

ليس ثمة تعارض كبير اذا في موقف الباقلاني ومواقف المعتزلة من الإعجاز، بل هو الموقف المذهبي الذي يقبل ما يتفق معه، ويرفض ما يتناقض مع مبادئه، هكذا كان الباقلاني بدافع غيرته على آراء الأشاعرة يعرض بآرائه المعتزلة وينتقص منها، وقد وجد بغيته في كتاب الجاحظ (نظم القرآن) فوصفه بالقصور قائلا" وقد صنف الجاحظ في نظم القران كتابا لم يزد فيه عما قاله المتكلمون، قبل ولم يكشف عما يلتبس في اكثر هذا المعنى[4]

: علاقة اللفظ بالمعنى عند الباقلاني

[1] الباقلاني : إعجاز القران ، مصدر سابق ، ص36.
[1] لمصدر نفسه،36.
[3] الجاحظ : البيان والتبيين ، تح : عبدالسلام محمد هارون ، ط1، دار الجيل ، بيروت لبنان ، 1990م، ص383.
[4] الباقلاني : إعجاز القرآن ، مصدر سابق ، ص06.

تناول الباقلاني ثنائية اللفظ والمعنى ودورهما في صياغة الكلام من خلال نظرية النظم التي تعتمد على وحدة النص، والالتحام الموجود بين أجزائه ، و يتوخى الباقلاني بالنظم معنيين اثنين هما:

– **المعنى الأول:** الأسلوب والطريقة في التعبير، فنظم القرآن على تصرف وتباين مذاهبه" خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد... وهذه الخصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه[1]

– **المعنى الثاني** : انه يريد بالنظم التأليف، وضم الكلام بعضه إلى بعض على طريقة مخصوصة حيث يقول" فإن قالوا كيف يكون القرآن معجزا، وهو غير خارج عن حروف المعجم التي يتكلم بها الخلق من أهل الفصاحة والعي واللكنة قيل لهم ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وأحكام رصفها ، وكونها على وزن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومرتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات إلى السماء، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض"[2]

ولعل أول ما يقع في خاطر المطالع لكتب الباقلاني العالم المتحمس للمذهب الأشعري والمدافع بشده عن آرائه ومبادئه، أن يجده ملتزما في تصوره العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني، والوظيفة الألفاظ وقيمتها و للنظم وإعجاز القرآن، بعقيدة الأشاعرة في كلام الله تعالى، تلك العقيدة التي قررت أن" المدلول القرآني صفة أزلية قديمة ، ودلالته حادثة ، وتلك الدلالات تابعة في نظمها وترتيبها لذلك المدلول القديم، والنظم القرآن– حسب هذه العقيدة– هو نظم واقع في المدلول، هو ترتيب المعاني في النفس، وترتيب الألفاظ في النطق تابع لترتيب المعاني في النفس"[3]

---

[1] المصدر نفسه ، ص35.

[2] الباقلاني : كتاب التمهيد ، تع: تشارد مكارثيا ، المكتبة الشرقية ،بيروت،ص177-178.

[3] احمد أبوزيد : نظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عدد خاص ،1988م، ص350.

غير أن ما يستغرب له أن الباقلاني لم يتأثر كثيرا بهذه العقيدة ، ولم يكن متحمسا للدفاع عنها كما كان متحمسا في نفي السجع والشعر عن القرآن الكريم، وربما لم يكن الباقلاني – كما قال الدكتور احمد أبو زيد– قادرا وهو في مرحلة التأسيس والتمهيد وضع نظريته في النظم(النظم والإعجاز) تستمد أصول من المذهب الأشعري.

ويبدو أن الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)، يرى أن المهارة في نظم الكلام وفي تأليفه، تعود إلى الألفاظ والمعاني على حد سواء، وتوافقهما وانسجامها، فلا نص صريح في كتابه يدلنا على أنه يفضل المعنى أو يفضل اللفظ. فإذا كان الكلام موضوعا للإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس " وجب أن يتخير من اللفظ ما كان اقرب للدلالة على المراد وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع مستنكر المورد على النفس، حتى يأبى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة[1]

والذي نفهمه من هذا الكلام، أن الباقلاني يهتم بالالفاظ بقدر اهتمامه بالمعاني، فكلاهما من عناصر الأسلوب، تجمعهما وحدة عضوية داخل النظم، ومن هنا يأتي إلحاح الباقلاني على مراعاة التوافق بين الألفاظ ومعانيها ، فتاتي المعاني معبرا عنها بألفاظ تماثلها في الحسن، وتساويها في القدر والجودة، ويراعي فيها تظل الحال ويقول الباقلاني "فاذا برع اللفظ في المعنى البارع على الطف واعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر، والأمر المتقرر المتصور، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه، ويراد تحقيقه بأن التفاضل في البراعة والفصاحة ، ثم اذا وجدت الألفاظ وفق المعاني، والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الآخر، بالبراعة أظهر والفصاحة أتم"[2]

واضح أن الباقلاني رغم أشعريته ، لم يستطع التخلص من سيطرة الفكر الجاحظي على الثقافة العربية الإسلامية ،لأنه يردد ما قاله الجاحظ، من ضرورة المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، مع مراعاه مقتضى الحال اذا يقول" وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا وسوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا يا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فان

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن ، مصدر سابق ، ص117.
[2] المصدر نفسه ، ص42.

الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوق ،وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس انفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي، وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا" .[1]

والحقيقة أن الباقلاني قد تأثر كثيرا بالجاحظ وبالمعتزل عموما في تصوره للإعجاز القرآني، ولتنائيه اللفظ والمعنى، فعلى الرغم من انه يصوغ مفهوما يكاد يترادف مع مفهوم العلاقات، إلا انه يظل مشدودا في تصوره للنظم القرآني بآراء الجاحظ ،وفكره النظم عند الجاحظ لفظيه تعتمد على حسن الصياغة اللفظية ، وكمال التركيب ودقه تأليف الألفاظ وجمال نظمها، ولا عجب فقد كان شغوف بجوده اللفظ وحسنه وبهاء رونقه حتى قدمه على المعنى في عبارته المشهورة " المعاني مطروحة في الطريق" ولا يبعد تصور الباقلاني للإعجاز عن راي الجاحظ، القران معجز لأنه جمع وجوه الحسن وأسبابه، من تعديل النظم وسلامته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول يقول " فالقران اعلى منازل البيان، واعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه في تعديل النظم وسلامته، وحسن بهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان، ووقعه في النفس موقع القبول، وتصوره وتصور المشاهد، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعه"[2].

وقضية التلاؤم بين الألفاظ والمعاني شرط قد سبق إليه المعتزلة ،واعتبروه شرطا من شروط البلاغة، بل لقد عده الروماني وجها من وجوه الإعجاز القرآني، فمن أراد أن يكون كلامه بليغا، فعليه أن يختار من الألفاظ اخفها على اللسان وأعذبها في الأسماع، فاذا بلغ الكلام

[1] الجاحظ : البيان والتبين ، مصدر سابق، ص144.
[2] الباقلاني : إعجاز القرآن ، مصدر سابق ، ص276-277.

غايته في هذا المعنى، حاز مرتبة البلاغة والبيان، وإلحاح الباقلاني على ضرورة تحقيق التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وتحقيق البراعة في كليهما، دليل قاطع على إيمان الباقلاني بان المزية في الكلام تعود إلى الصياغة والنظم ويقول" والتلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب، وذلك كالخط الحسني والبيان الشافي، والمتنافر كالخط القبيح، فاذا انضاف إلى التلاؤم وحسن البيان وصحه البرهان في اعلى الطبقات، ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطباع وبصيرا بجواهر الكلام".[1]

فالباقلاني من انصار الصياغة اللفظية التي لا تعطي للفظ مزية على المعنى، ولا للمعنى مزيه على اللفظ، فكلاهما عنصر من عناصر الأسلوب، واي فصل بينهما يعني" فصل للجسم عن الروح، والروح عن الجسم، وذلك لان جمال الألفاظ في تعلقها بالمعاني، وحسن المعاني في وجودها في تركيب"[2]

ويبتدئ كمال الائتلاف في علاقه اللفظ بمعناه في نظم القران المعجز للإنس والجن، فالنظم هو الصورة التي يرى فيها الإعجاز، وهو ماده اللحام الجامعة للألفاظ مع المعاني داخل الآية أو العبارة ، وهذا الأمر يتجاوز النكت البلاغية المحدودة المعزولة عن سياقها التي ارتضاها الروماني وجوها للإعجاز، فالنظر في التكاملية " كانت موجودة عند الباقلاني في تحليل العمل الفني كله، ملاحظة التحام الكلمة بالمعنى ، والعبارة بالمضمون، والفكرة بالأسلوب لكنها تتوه في ركام الجدل المنطقي، وسيطرة من الأفكار المسبقة ".[3]

ولعل ما يسترعي الناظر في دراسة الباقلاني لإعجاز القرآن، اعتباره للوحدة الفنية فيه، وإشادته بقيمتها وبقدرتها على الإبانة، لذلك يرفض فكره الإعجاز البلاغي التي تتعرض للتحليل الجزئي للعبارة، والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع ،ويرى أن إعجاز القران يرجع إلى نظمه وبيانه، وذلك منصب على القران جميعه بوصفه وحده متكاملة جمله لا تفصيلا، ويتضح هذا من تناوله تحليل صوره بتمامها يتدرج فيها ليظهر ما تنطوي عليه من

[1] الباقلاني : إعجاز القرآن، مصدر سابق ،ص 270.
[2] عبد الفتاح لاشين : البديع في ضوء أساليب القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3،1986م،ص21.
[3] منير سلطان : مناهج في تحليل النظم القرآني ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر ، ص80-81.

خصائص،" فيحللها من ناحيه النظم متعرضا لألفاظها ومعانيها، وتالف الألفاظ والمعاني في نظم رائع ،والصلة الفاصلة بالنظم، ويقوم بتقريب معاني الصورة وشرح مواطن الجمال فيها، ويكشف عما قد يخفى على القارئ العادي وبذلك يقوم بدور الوسيط بين النص وقارئه، متمشيا مع الصورة من مطلعها، متقلبا مع معانيها، مختلفا بين فنون التعبير فيها"[1]

ولا شك أن هذا المنهج في تحليل هو الذي اكسب دراسة الباقلاني للإعجاز عمقا وأصالة حيث الف أنظار العلماء إلى البحث عن منشئ جمال النظم القران، وجمال العمل الفني بصفة عامة ، ونقل بحوث النقد من النقد الموضوع الجزئي إلى دائرة النقد الشامل العام، بعد أن سيطرت" المعالجات الجزئية على العمل الفني من جراء المنهج اللغوي، تظهر البيت الشاهد أو الآية القرآنية التي تثبت قاعدة أو تنفي قاعدة ، وضاعت النظرة الكلية إلى العمل الفني، فافتقد اخص مقوماته واهم مميزاته".[2]

وادراك البلقاني لسمه الوحد في النظم القران يبرز بشكل واضح في تحليله لسور القران الكريم ، ففي كل سورة وحده موضوعيه مترابطة ، وفي كل سورة بديع نظم وعجيب تأليف، ونقدم مثال لتحليلات البقلان التي تعكس مدى دقه تفكيره وتعمقه في مباحث البلاغة والكلام، وما قدمه من جهود بلاغيه متقدمة لإظهار إعجاز القران وكشف أسراره ومواطن الجمال فيه، وبيان مخالفه أسلوبه لأساليب كلام العرب، ففي سوره النمل مثلا يبدا البقلان تحليله بالدعوة إلى تأمل السورة التي يذكر فيها النمل والنظر في كلمة الكلمة ، وفصل فصل فيقول: ثم وصل بذكر قصه موسى عليه السلام وانه رأى نارا فقال لأهله

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)﴾[3] سورة النمل الآية 07.... ثم قال﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)﴾[4] سورة النمل الآية08.

[1] محمد زغلول سلام : أثر القرآن في النقد العربي ، [د.ط]، ص287-288.
[2] منير سلطان : مصدر سابق، ص75.
[3]
[4]

انظر إلى ما اجرى له الكلام من علو امر هذا النداء، وعظم شان هذا الثناء، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية، وما دل به عليها قلب العصا حية ، وجعلها دليلا على معجزات تهديه إليه، وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة، من اليد البيضاء– عن نور البرهان– من غير سوء. ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف ؟ فكل كلمه لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف اذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها مما تجري في حسن مجراها، وتأخذ في معناها" .[1]

وهذا نموذج في تحليل البقلان لسوره القران الكريم، وهو يعكس موقفه في ثنائيه اللفظ والمعنى، فالإعجاز يكمن في حسن النظم مع ائتلاف الألفاظ والمعاني، فلا وجود للفظ إلا بالمعنى، ولا وجود للمعنى إلا باللفظ، حيث ردد عبارات من مثل(وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة)وكذلك قوله(فكل كلمه لو أفردت كانت في الجمال غايه وفي الدلالة آية ، فكيف اذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها)،لقد ادرك الباقلاني مكانه العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقيمه اللفظ ودوره في التعبير ونظم الكلام وفي إبراز المعاني، غير إنما يؤخذ عليه كما– قلنا سابقا– انه غالبا ما يترك آرائه حول اللفظ والمعنى دون تعليق علمي لها، بل يحيل جل القضايا إلى الذوق والإحساس، فهو المعيار الصحيح في نظم الكلام.

وفي الختام يمكن إجمال اهم الخلاصات والنتائج التي سبقت الإشارة إليها فيما مضى كما يلي:

أولا: إن كان كتاب الباقلاني (إعجاز القران) من اهم البحوث الرائدة حول قضيه الإعجاز القرآني ، واثرها في ثنائيه اللفظ والمعنى ، اذا اسهم بدور أساسي في تحديد فكره الإعجاز، وتطوير مفهومها ومناهج بحثها بصورة أثرت في كل من جاءوا بعده من علماء البلاغة والدراسة القرآنية .

[1] الباقلاني : الإعجاز القرآني ، مصدر سابق ،ص189-190.

ثانيا: لا شك إن كتاب الباقلاني اسهم بدور أساسي في نشاه البحث البلاغي وإثرائه، اذا شكل مناخا مناسبا لنموه وتطوره، فارتبط الدرس البلاغي بالقران الكريم وخدمته وإثبات إعجازه، البلاغة هي الوسيلة التي عملت على إبراز ما في القران الكريم من وجوه الجمال، ومن خصائص أسلوبية كانت وما تزال أساس التحدي ومنطاد الإعجاز.

ثالثا: الإعجاز عند الباقلاني في النظم والتأليف على طريقه مخصوصة ، وليس شيئا خارجا عنه، وان الوجوه البلاغية ليست أصلا في الإعجاز، وإنما تدخل في مقدماته من حيث أنها دعامة في بناء الأسلوب أو النظم الرفيع، والقران إنما اعجز العرب بهذا الوصف دونما سواه، وهو راي جدير بالقبول، فإعجاز القران ليس في وجوه البلاغة وحدها، وإنما يرجع إلى عدد كبير من الخصائص التي يصعب حصرها ويشق تعدادها.

رابعا: من الواضح إن الباقلاني قد اندفع في مواقفه من قضيه الإعجاز القرآني واثرها في ثنائيه اللفظ والمعنى، متأثرا بموقف أصحابه من الأشاعرة في البلاغة وإعجاز القران، فهو احد أعلام الأشاعرة الذين نافحوا بما عرف عنهم سعه الثقافة والعلم وحب الجدل والمنطق، وكان طبيعيا من رجل هذه ثقافته وتلك نزعته، أن يكون كتابه صوره لتفكيره، ومما كان يدور في تلك الحقبة من اتجاهات عقلية وفلسفية .

خامسا: القضية الأساس التي شغل البقلان بإثباتها على امتداد كتابه(إعجاز القرآن) هي انفراد القران بأسلوب مباين لأساليب كلام العرب، من ناحيه تصرف أسلوبه في تناول المعاني والتعبير عنها .

سادسا: نستطيع أن نقول إن قضية اللفظ والمعنى، وطبيعة العلاقة القائمة بينهما، من المسائل الكبرى التي استأثرت باهتمام الباقلاني وارتبط عنده في خدمه النص والبحث عن مواطن الأعجاز فيه، فقد ادرك ما للألفاظ من دور في صنع العبارة، وما للمعاني من مكانه في التعبير، فلكل واحد منهما وظيفه يؤديها، لكن ليس منفردا وإنما باعتبار ارتباطه بالآخر، فهو من انصار الصياغة اللفظية حسب ائتلاف المعاني مع الألفاظ، وهي نظره لغوية جديده ثاقبة في اتجاه لغوي جديد للربط بين اللغة والفكر.

ب . الرُّماني

ولعلي استشف مفهوم النظم عند الرماني استشفافا من حديثه عن البيان الذي يظهر به تميز الشيء من غيره، واشترط لهذا البيان أن يكون فيه حسن الإفهام، وجعل حسن البيان في الكلام على مراتب" أعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في عباره، من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجه فيما هو حق من المرتبة" .[1]

وعليه فان النظم من وجهه نظر الروماني يعني انتقاء الألفاظ في العبارات لتؤدي احسن وادق المعاني.

ج عند الخطابي:

يرى الخطابي أن الكلام بوجه عام يقوم أمور ثلاثة : لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم [2]،" يقول:<< واذا تأملنا القران الكريم وجدنا هذه الأمور منه في غايه الشرف والفضيلة ، حيث لا ترى شيئا من الألفاظ افصح ولا اجزل ولا اعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما احسن تأليفا وتشاكلا من نظمه >>.[3]

واستطيع القول أن فكره النظم بدأت تتضح وينجلي إبهامها على يد الخطابي فبقوله:<< ورباط لهما ناظم "ويفهم القارئ أن النظم هو أداة الربط بين اللفظ والمعنى ولا يفوتني هنا أشير إلى قرب هذا المفهوم من المعنى اللغوي للنظم>>.

2 الروافد النحوية:

- عند سيبويه:

تحدث سيبويه عن ائتلاف الكلام ،وقد جعل مدار الكلام على تأليف العبارة وعلاقه الألفاظ بعضها ببعض، حيث يرى أن وضع الألفاظ في موضعها دليل على حسن ائتلاف الكلام(النظم)، ووضعها في غير موضعها دليل على فساده، حيث قال :"هذا إقامه من

[1] الرُّماني : النكت في إعجاز القرآن الكريم ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله احمد ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف القاهرة ، ط4، ص107.

[2] الخطابي : البيان في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف احمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ،ط4،24.

[3] أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تح : علي البخاري ومحمد أبو الفضل ، دار حياء الكتب العربية ، ط2، 1372هـ،ص167.

الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومستقيم محال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك ،سآتيك غدا... وإما المحال فان تنتقد أول كلامك باخره فتقول: أتيتك غدا...، وإما المستقيم الكذب فقولك حملت جبلا... أما المستقيم القبيح كان توضع اللفظة في غير موضعه نحو قد زيدا ...وأما المحال الكذب فانت تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.[1]

إن سيبويه في هذا الكلام لم يشر إلى مصطلح النظم ولكنه لمح وأشار إليه بكلمه الاستقامة، وكان ذلك انطلاقا من المفردة لضمها في شكل كتل ومجموعات (كلام مفهوم وتراكيب)، منطلقا مما تفوه به العرب السليقيون وبذلك كان سيبويه أول من أقام للكلام الجيد أساسا من ابنيه مفردات اللغة، وتوصل إلى وضع الأسس الأولى للنظرية اللغوية في مساله حسن الكلام بوضع ضوابط الكلام من كلام العرب.

3الروافد البلاغية:

أ- النظم عند أبو هلال العسكري:

أما صاحب الصناعتين فيرى أن" النظم به زنه الألفاظ، وتمام حسنها[2]

وقد عقد بابا اسماه" البيان عن حسن النظم وجوده الرصف والسبك"[3]

فيرى النظم في حسن التأليف وجوده الترك التركيب وحسن الرصف ويبدو أن الثلاثة عنده بمعنى واحد.

ونجد في كتابه الصناعتين يلمح لمساله النظم في عده مواضع من الكتاب، فعند حديثه عن تميز الكلام ذكر إن الكلام يحسن بسلاسته وسهولته وصياغته، وتميز لفظه وحسن معناه، ويرى إن سبب تميز الكلام ليس في الألفاظ ولا في إيراد المعاني، بل في جوده اللفظ وحسن معناه، كما نجده يستعمل بعض ركائز النظم وهو بصدد حديثه عن وضع الكلمة

[1] سيبويه : الكتاب ، تح : محمد عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1،ص08.
[2] أبو هلال العسكري : الصناعتين ، مصدر سابق ، ص167.
[3] أبو هلال العسكري : المصدر نفسه، ص167.

في المواضع التي يجب أن تستحقه وهو ما ذكره الجرجاني في كتابه الذي يتحدث فيه عن البيان، حول ما في النظم وجوده الر صف والسبك وإتلاف الكلام"[1]

وبذلك يمكننا أن نلمس بعض التقطعات حول ما جاء به الجرجاني في نظريته، وذلك الذي أشار إليه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين كقوله"... ومن حسن الرصف أن توضع الألفاظ موضعها في العبارة..."[2]

ب عند الجاحظ:

فرق الجاحظ بين نظم الكلام ونظم القرآن [3]

إن الجاحظ لن يشر هو الآخر إلى مصطلح النظم وإنما أشار إلى الآتي:" وأجود الشعر ما رايته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك انه افرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا واحده، فهو يجري على اللسان كما يجري على الرهان"[4]

فقد ذكر الجاحظ التلاحم والسبك والإفراغ، كما تحدث عن اللفظة المفردة واشترط فيها شروط، هي :"متى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع وارتاحت إليه القلوب، وحفت على السن الرواة"[5]

[1] أبو هلال العسكري : الصناعتين ، مصدر سابق ، ص148.
[2] نفس المصدر ،261.
[3] يُذكر أن للجاحظ كتابا سماه نظم القرآن لكنه لم يصل إلينا
[4] أبو هلال العسكري : الصناعتين ، مصدر سابق ، ص49-50.
[5] الجاحظ : البيان والتبيين ، مصدر سابق ، ص217.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

1-نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

2-معنى النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

3-أسس النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

صرح الجرجاني في أول كتابه " دلائل الإعجاز"بهدفه من تأليفه، وهو أن يمكن القارئ من وضع يعده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام، حتى يفصل بعضه بعضا،ثم يتعاظم ذلك الفضل حتى يبلغ حد الإعجاز الذي تنقطع عنده أعناق البلغاء، وتنحصر دونه مطامعهم ، فيقيرون جميعا بالعجز يقول": ولم أزل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة"،وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعض التنبيه على مكان الخبئ ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب تسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها. ووجدت المعول على أن هناك نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسجا تحبيرا وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها ، وأنه كما يفصل هناك النظم النظم والتأليف التأليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ،ثم يعظم الفصل وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، وكذلك يفضل بعض الكلام بعضا، ويتقدم منه الشيء ثم يزداد فضله ذلك ويترق منزلة فوق منزلة، ويعلو مرقبا بعد مرقب، ويستأنف له غايه بعد غايه حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع الاطماع وتخسر الظنون وتسقط القوى، وتستوي الاقدام في العجز[1]

[1] عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز ، تح: محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة [د.ت]، ص34-35.

ولا يكفي –عند الجرجاني–في بيان هذه الخصائص والمزايا العبارات المجملة التي لا تشفي الغلة، بل لابد من تحديدها تحديدا دقيقا، ووصفها وصفا مفصلا، وإيراد أمثلة كافية لها ،كما هي الحالة في كافة أنواع الصناعات، وفي هذا يقول "ولا يكفي أن تقولوا : انه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض حتى تصف تلك الخصوصية وتبينها وتذكر لها امثله وتقولوا: مثل كيت وكيت ،وكما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة الصنعة، أو يعلمه بين يديك حتى ترى عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجئ، وماذا يذهب منها طول وماذا يذهب منها عرضا، وبما يبدأ وبما يثنى وبما يثنى، وتبصر من الحساب الدقيق، ومن عجيب التصرف اليد ما تعلم معه مكان الحذق وموضع الأساتذية .

ولو كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة": انها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة، او على وجوه تظهر بها الفائدة"، او ما اشبه ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها، ومغنيا في العلم بها ، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها، فكان يكفي معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير ان تعلم انه ترتيب للغزل على وجه مخصوص، وضم لطاقات الابريسم بعضها الى بعض على طرق شتى وذلك ما لا يقوله عاقل"[1]

وإذا تمكن المتعلم من ذلك أصبح قادرا على التمييز في الكلام بين الصواب والخطأ، والمفاضلة بين الإساءة والإحسان، بل بين الاحسان بالإحسان، يقول الجرجاني "وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علما تمر فيه وتحلى حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب، ويفصل بين الإساءة والإحسان، بل حتى تفاضل بين الإحسان والإحسان وتعرف طبقات الم سنين واذا كان هذا هكذا، علمت أنه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياس ما، أو تصفها وصفا مجملا ،وتقول فيها قولا مرسلا، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل، وتضع اليد على الخصائص

[1] عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز، ص36.

التي تعرض في النظم الكلم وتعدها واحدة واحدة، وتسميها شيئا شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج، وكل قطعه من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل أجره من الأجر الذي في البناء البديع"[1]

وفيما يخص موطن تلك الخصائص فإن الجرجان لا يقبل بأن يكون هو الألفاظ المفردة، لأنه لا مجال للمفاضلة بينها، فهي مستويه في الدلالة على المعاني التي وضعت لها ،كما أن الكلمة قد تقع في النفس موقعا عجيبا رائقا في موضع ثم ينعكس ذلك في موضع اخر، وإنما مدار الأمر على مكان الكلمة في النظم والتأليف، يقول في الاستدلال على ذلك: وهل يقع في وهم و أن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعمله، وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه اخف، وامتزاجها احسن ومما يكد اللسان ابعد وهل تجد أحدا يقول "هذه اللفظة فصيحة"الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا:" لفظة متمكنة ومقبولة "وفي خلافة قلقة ونابية ومستكرهه، الا وغرضهم أن يعبر بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والتنبؤ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق في الثانية بمعناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا التالية مؤداها؟ وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] سورة هود الآية 44.

وما يشهد لذلك أن ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك و توحشك في موضع آخر، كلفظ" الأخدع"في بيت الحماسة:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني* وجعت من الإصغاء ليتا واخدها[3]

[1] عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ،ص37.

[2]

[3] البيت للصمة بن عبدالله القشيري ، في شرح سماحة أبي تمام للتبريزي ، ج3، ص114 نقلا عن محقق دلائل الاعجاز، ص47.

وبيت البحتري:

وإني وأن بلغتني شرف الغنى* وأعتقت من رق المطامع أخدعي[1]

فإنها فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم انك تتأملها في بيت [2]

وليس المقصود بنظم الالفاظ مجرد تتابعها في النطق كما هو في الحال في نظم الحروف، إذا لا تستوي الناس كلهم في العلم بحسن النظم ا ورداءته ،لانهم جميعا يحسون بتوالي الألفاظ في النطق احساسا واحد،ولكن المقصود به تناسق دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، واذا فإن الاعتبار في النظم هو والمعاني وليس للألفاظ، بل ان الالفاظ في ذلك تبع للمعاني ،فهي تترتب تلقائيا بحسب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، ولا يحتاج المتكلم أن يفكر مرتين، مره في ترتيب المعاني واخرى في ترتيب الألفاظ، وإنما ينحصر تفكيره في المعنى، فإذا ترتبت المعاني جاءت الالفاظ مترتبة على نسقها من غير استئناف نظر جديد، فلا يتصور أن تعرف اللفظ موضعا من غير ان تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك اتبعتها الألفاظ و قفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج الى ان تستانف فكرا في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة بها وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق.[3]

وأما عن ترتيب المعاني في النفس والضوابط التي يخضع، فيرى الجرجاني أن مرجع الأمر في ذلك إلى قوانين النحو وأصوله،" ذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب فروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك:" زيد منطلق و" وزيد هو منطلق" وفي" الشرط والجزاء" الى الوجوه التي تراها في قولك:" أن

[1] البيت في ديوان البحتري : الحاشية2، للمحقق، ص47.
[2] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص44-47.
[3] الجرجاني : دلائل الاعجاز،ص53-54.

تخرج اخرج"و وأن خرجت "و"ان تخرج فأنا خارج"و" وانا خارج أن خرجت". وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك:" جاءني زيد مسرع" وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع أو وهو يسرع و" وجاءني قد أسرع"و" وجاءني وقد أسرع". فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به من حيث ينبغي له، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجي ب "ما" في نسي الحال، وبلا" إذا أراد نفي الاستقبال وب "ب" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وب" اذا" فيما علم أنه كائن، وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من وضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع" الواو" من موضع" الفاء" ومن موضع ثم، وموضع" او" من موضع "أم"وموضع" لكن" من موضع" بل". ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي ا الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، سيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له، هذا هو السبيل فلست في واجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطاه ان كان خطأ، الى "النظم" ويدخل الاسم، ألا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عوامل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بـ مزية وفضل فيه، إلا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، الى معاني النحو وأحكامه، ويدخل في أصل من اصوله، ويتصل بباب من ابوابه"[1]

ولا يقصر الجرجاني في سوق الامثلة الدالة على صحة مذهبه في أن حسن النظم إنما يأتي من جودة التصرف في قواعد، وان رداءته إنما تأتي من سوء التصرف فيه.[2]

ومن أجل ذلك كان المؤلف قد عقد في أول كتابه مبحثا ذات فيه عن علم نحو عند من يعض منه ويشكك في جدواه وحث على تعلمه والتقوى فيه ، لأنه المرتكز الذي ستقوم عليه نظريته في بقية الكتاب، يقول في أول ذلك المبحث:" وأما زهدهم في النحو واحتقارهم

[1] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص81-83.
[2] المصدر نفسه، ص83-86.

له، وصغارهم م أمره وتهاونهم به، في صنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم"[1] وأشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه، ذلكم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم ان الألفاظ مغلقه على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام رجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، و إلا من غالط نفسه، واذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما غدر ما تهاون به وزهد فيه، ولم ير أن يستقيه من منصبه، ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص والكمال لها معرض، وأثر الغبينة وهو يجد الى الريح سبيلا.[2]

ولما كان النظم– عند الجرجاني– لا يكون يعدو أن يكون تمثيلا للمعاني النحوية، فإنه من البديهي أن يكون الجملة هي محور عمل الناظم، لانها هي الوحيده الكلامية التي تظهر فيها العلاقات النحوية الاسنادية، كما هو الحال بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل والمفعول...الخ، وما قد يعتريها من تقديم وتأخير، وحذف وإضمار وإظهار...الخ، ولكن النطاق قد يتسع أحيانا ليضم جملتين أو أكثر، عندما تتحد أجزاء الكلام، او يدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول.[3]

ومن ذلك المزاوجة بين معنيين في الشرق والجزاء معا كقول البحتري[4]:

اذا ما نهى الناهي فلج بن الهوى* أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

ومنه قد يضم عدة ابيات ، كقول بعضهم[5].

لو ان ما أنتم فيه يدوم لكم

ضممت ما أنا فيه دائما ابدا

[1] أي زهدهم في رواية الشعر وحفظه ، وذمهم الاشتغال بعلمهمم من المصدر نفسه،ص11.
[2] الجرجاني : دلائل الاعجاز، ص28.
[3] المصدر نفسه ،ص93.
[4] ديوان البحتري ، الحاشية 2لمحقق دلائل الاعجاز ، ص93.
[5] لم يقف المحقق على هذه الأبيات ، أنظر تعليقه عليها ص94 حاشية 5.

لكن رأيت الليالي غير تاركه

ما سر من حادث أو ساء مطردا

فقد سكنت إلى أني وأنكم

سنستنجد خلاف الحالتين غدا.

وموضع المزية في هذه الأبيات كما بينه الجرجاني هو في قوله:" سنستنجد خلاف الحالتين غدا، لأن فيه جمعا لطيف لما قسمه قبل، بالإضافة الى حسن بناءه ولطف توصله إليه.

ومذهب الجرجاني إلى أن المعاني النحوت هي الاساس الذي تقوم عليه البلاغه، والمعيار الذي به يفاضل بين قول وقول، لا يعني ان الكلام متى استقام على قواعد النحو وسلم من الخطأ لقد صار له فضل الشرف و مزية، فإن البحث في تقويم اللسان وعصمته من الزلل في الإعراب ليس هنا مجاله، وانما مجاله كتب النحو، وأما في البلاغة فإنما يعتد به في المعاني النحوية تصرفا فنيا ابداعيا يسفر عن" أمور تدرك بالفكر اللطيفه، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم"[1]. وكذلك تجنب الخطأ فليس هو من البلاغة حتى يحتاج في التحفظ منه الى لطف نظر وفضل رؤية، وقوة ذهن وشده تقيظ."[2]

وهذا هو المعيار المعتمد عليه في الموازنة بين كلام واخر.

وهكذا فإن عبد القاهر وان كان يقيم نظريته في النظم على أساس من علم النحو، فليس هو نحويا، ولا يعنيه أن يدرس المباحث النحوية من تقديم، وإظهار وإضمار وحذف،... من حيث هي كذلك، إنما من حيث إمكانية توظيفها من أجل صناعة عبارات بليغة، فمثل قول الجاحظ مثلا جنبك الله الشبهه، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبه، وبين الصدق سببا وحبب إليك التثبت وزين في عينك الإنصاف، واذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عز الحق، وأودع صدرك بزد اليقينه...– ليس في نظمه وتأليفه أي فضل،

[1] الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص98.

[2] المصدر نفسه ، ص98.

وإن سلم من الخطأ، وجرى على قواعد النحو، لأنه ليس فيه دقه صناعه، ولا سبيل فيه الى التخيير.[1]

- معنى عند عبد القاهر الجرجاني:

تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض[2]

وكما يجعل وجوه التعلق ثلاثة

تعلق اسم باسم. وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما ويشرح وجوه التعلق شرحا وافيا ويؤكد ان ..نظم الكلام يقتضي فيه اثار المعاني وترتيبها ترتيب المعاني في النفس."[3]

وليس النظم في مجمل الأمر عنده إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها فمدار النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيها،[4] فإنك إن عمدت إلى الفاظ فجعلت تتبع بعضها بعض من غير أن تتوخى فيها معاني نحو ولم تكن شيئا تدعي به مؤلف وتشبه معه بمن عمل نسخا أو صنعه على الجملة صنيعا ولم يتصور ان تكون قد تخيرت لها المواقع."[5]

وفي شأن النظم يضيف عبد القاهر الجرجاني:" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم و وتفخيم قدره والتنويه بذكره واجماعهم أن لا فضل مع عدمه ولا قدر الكلام إذ هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابه معناه ما بلغ، ويتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه ولا قوام الا به وانه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال. وما كان بهذا المحل الشريف وفي هذه المنزله من الفضل وموضوعا هذا الموضع من المزية و بالغ هذا المبلغ من كان حر بأن توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الأفكار وتستخدم فيه الخواطر ".[6]

---

[1] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص97-98.
[2] المصدر نفسه، ص15.
[3] المصدر نفسه،ص51.
[4] المصدر نفسه ، ص70-74.
[5] المصدر نفسه ، ص240.
[6] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص69.

- مكانه المعنى عند عبد القاهر الجرجاني

لم يرضى عبد القاهر عن رأى نصر المعنى في عمومه ليحكم على الجودة والرداءة في العمل الأدبي بحسب معناه ويستوي في ذلك عنده من فضل القول لشرف معناه إذا كان أدبا او حكمه كابن قتيبة أو كان غريبا نادرا تفضيل أبي عمر الشيباني للبيتين الذين ذكرهما الجاحظ في كتابه الحيوان. او من اجل معناه عامه ولو كان لاكيك الصياغة ضعيف النسج.[1]

ويد خص به شبهه من يرد البلاغة الى المعنى بقوله:" واعلم أن الداء الدوي والذي اعي أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه واقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطه من المزية إن هو أعطى، إلا ما فضل عن المعنى يقول"ما في اللفظ لولا المعنى وهل الكلام إلا بمعناه . فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وادبا واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر فانما مال الى اللفظ شيئا ورأى ان يحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة ثم لا ينظر في تلك الاستعارة احسنت بمجرد كونها استعارة أم من اجل فرق ووجه، أم للامرين لا يحفز بهذا وشبهه وقد فتح بظواهر الامور وبالجمل وبأن يكون كمن يجلب المتاع للمبيع، انما همه ان يروج عنه... واعلم ان وان كنا اذا اتبعنا العرف والعادة،وما يهجس في الضمير وما عليه عامة ارانا ذلك أن الصواب معهم وأن التعويل ينبغي أن يكون على المعنى وأنه الذي لا يسوغ القول بخلافه فان الأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وإلى ما عليه المحصلون،لأن لا نرى متقدما في علم البلاغة مبررا في شأنها الا وهو ينكر هذا الرأي ويعيبه و يزري على القائل به بعض منه.[2]

والواضح خلال هذا النص أن الإمام الجرجاني لا يهتم كثيرا بنوعية المعاني حكمه او فضيلة، او معنى غريب نادر بقدر ما يهتم بصياغة هذه المعاني في بنى لغوية وظيفية تعبر عن غرض المتكلم تتجلى من خلالها جميع عناصر هذه المعاني. كما ينبغي ان تنحصر البلاغة في نوع من الاستعارة أو التشبيه لان ذلك لا يدخل في خصائص الكلام

[1] المصدر نفسه، ص44.
[2] الجرجاني : دلائل الاعجاز، ص194-195.

الذي يعول عليه في الإعجاز،فهو ينكر أن يكون للمعنى فضل على اللقب وان تضمن هذا المعنى حكمه او ادبا او اشتمل على تشبيه غريب اذ لا مزية في معنى دون صياغته، فاالسابقون ينكرون رأي من قدم الشعر بمعناه.[1]

- أسس النظم عند عبد القاهر الجرجاني

لقد أورد عبد القادر الجرجاني في دراسته لموضوع النظم اربع مصطلحات علمية هي من ذوات المصطلحات المعاصرة في النظام اللغوي "[2]

وهي:

أ- النظم

هو عند عبد القاهر الجرجاني تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند اليه، وتصور علاقة التعديه بين الفعل والمفعول به، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله ، لقوله:"وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي أنشأتها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها نهاية تقف عندها ونهايه لا تجد لها إزدياد"[3]

والمزية عنده ناتجة بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام حسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض فيقول.. واعلم انه وان كانت الصورة في الذي أعدنا وابدانا فيه من لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الوضوح والظهور والانكشاف الى اقصى غاية وإلى أن تكون الزيادة عليها التكلف لما لا يحتاج اليه فان النفس تنازع الى تتبع كل ضرب من الشبهه ..."[4]

ويتضح مما سبق أن النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جميلة.

ب- الترتيب

[1] احمد علي دهان: الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، دار طلاس ، دمشق ، ط1، ج1، ص201.
[2] محمد عباس : الابعاد الإبداعية في منهج عند عبدالقاهر الجرجاني ،ص66.
[3] الجرجاني : دلائل الاعجاز، ص69.
[4] المصدر نفسه، ص282.

انتهى عبد القادر الجرجاني إلى أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ اذا الفت على ضرب خاص من التأليف، و رتبت ترتيبا معلوما بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس، وهذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي العقل ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ في النفس وليس ترتيب الألفاظ وتواليها في النطق، وفي ذلك يقول.. وان الكلمة ترتب معانيها في النفس،[1] ويقول أيضا.. ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت الفاظها في النطق بل أن تناسق دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.[2]

الترتيب هو وضع العلامات المنطوقة والمكتوبة في سياقها الاستعمال حسب رتب خاصة تظهر فيها فوائد التقديم والتأخير، كان موضع عناية فائقة لدى عبد القاهر ،[3] وهو عنصر أساسي من عناصر نظرية النظم ومقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام وقد مثل الجرجاني لذلك يقول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكا* أبو أمه حي أبوه يقاربه

والواضح في هذا البيت أن هنالك أربع مخالفات نحوية في تقديم المستثنى على المستثنى منه، والفصل بين مثل وحي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو امه وابوه، و هما مبتدأ وخبر، وبين حي يقاربه وهما نعت ومنعوت، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي.[4]

قال عبد الطاهر معلقا على البيت:" فانظر اتصور ان يكون اللفظ من حيث أنك انكرت شيئا من حروفه او صادفت وحشا غريبا أو سوقيا ضعيف؟ام ليس لأنه لم يرتب الألفاظ في النكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر، فكدا وكدر ومنع السامع أن يفهم الغرض الا أن يقدم أو يؤخر ثم أشرف في ايطال النظام وإبعاد المرام وصارت كمن

[1] الجرجاني : دلائل الاعجاز، ص45.
[2] المصدر نفسه ، ص40-41.
[3] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، ط4، القاهرة ، 2004م ، ص188.
[4] أحمد سيد محمد عمار : التفكير البلاغي عندالعرب أسسه وتطوره في القرن السادس ، ص166.

رمت بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد ان يراجع فيها بابا من الهندسة لفرق ما عاد بين اشكاله وشده ما خالف بين أوضاعها.[1]

الواضح من هذا التعليق أن عبد القاهر الجرجاني لم يرد غموض المعنى في البيت الى التعقيد اللفظ ولا إلى اي شيء آخر مما اشترطه البلاغيون فصاحة الكلام ،وبلاغته بل رد الى كون الشاعر لم يرتب الالفاظ في النطق ترتيب معانيها في نفسه ومن هنا منع المتلقي أن يفهم الغرض من البيت وضرب ايضا الجرجاني مثلا قول امرئ القيس

قتانيك من ذكرى حبيب ومنزل*

يرى أن متى قرانا الشطر البيت على هذا النسق في الترتيب وابقينا على نظامه الذي عليه بني، وجدناه من كمال البيان وحددنا كلمات عدا كيف جاء واتفق كان يقول.. منزل قفى ذكرى من نيك حبيب تكون خرجا به الى مجال الهذيان والسبب في تحول هذا الشعر النقيض الى النقيض جرس الحروف وخصائص اللفظ الصوتية، فإننا لم نضف كلمة جديدة ولا غيرنا ترتيب الحروف داخل الكلمات وإنما هو إبطال نضده وإفساده هندسته وقالبه الذي أفرغ فيه المعنى واجري.[2]

وبهذا المعنى يصبح النظم صيغة وثيقة الوسيلتان المدركة وفي مقدمتها العقل، انتظام الوحدات اللغوية انعكاسات للمضمون بذاته المنطقي، وبهذه الصيغ أ شار الجرجاني إلى أصل من أهم أصول الوحدة المنطقية تقدم للعقل مكانا في العمل الفني وجعله هاديا لوحده النسق.

ج- الموقع

يعتبر هذا العنصر شديدا الصلة بعنصر الترتيب لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم الذي هو مدار البلاغة ترتيب المعاني في النفس فقط، بل لابد من العلم بمواقعها في النفس، ولذلك

[1] الجرجاني : اسرار البلاغة ، دار الكتب الوطنية ، ط1، أبوظبي، 2015م،ص113.

[2] حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطور،ه الى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981،ص506.

يقول عبد القاهر الجرجاني.. وان العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق.[1]

حتى اذا عبر عنها صادف كل لفظ موقعه ورتبته تبعا لموقع معناه، ورتبته في النفس حيث:" لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه الا وطنه الأمين وقراره المكين".[2]

هل ألفاظ إذا لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، بل من حيث ملائمة معنى الكلمه بمعنى الكلمه التي تليها ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تراها تنقل يتوحشك في موضع آخر.

ومثال على ذلك قول الجرجاني انظر إلى كلمة شيء فيقول عمر بن ربيعة

و من مالئ عينيه من شيء غيره* إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وفي قول أبي حية النميري

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة* تقاضاه شيء لا يمل تقاضيا

أي تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر إليها في قول المتنبي

لو ألفك الدوار أبغضت سعيه* لعوقه شيء عن التوازن

فانك تراه وتضول* بمقدار حاستها ونبلها.[3]

وهذا اشارة الى ضرورة الارتباط بين المعنى، فالكلمة لا تحدد وظيفتها ولا تأخذ قيمتها النحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منها.

ويقول كذلك.. فإننا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موقع ونراها فيما لا يحصى في المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير.[4]

ومن هنا نستنتج ان الكلمه موضعك او موقعها من النظم يعد مقياسا لتحديد المزية والفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

---

[1] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص44.
[2] محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، دار القلم ، ط4، الكويت ،1977م، ص92.
[3] المرجع نفسه ، ص90.
[4] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص307.

د- تعليق

ربط عبد القاهر الجرجاني نظريته نظرية النظم بمفهوم التعليق الذي اعتبره محور هذه النظرية وعمادها الرئيسي والذي قصد به ان شاء العلاقات اللفظية والمعنوية والحالية، كما يحدد معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفي أو أفضل أو أكثر استفادة من التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية[1]

لذلك نجد عبد القاهر الجرجاني يلح في تحديده للنظم على فكرة التعليق حيث أظهر و ادل قوة هذا المفهوم بماهية النظم اقتصاره في بعض التعريفات عليها ومن قوله ..أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض.[2]

بعد أن ربط عبد القاهر الجرجاني النظم بالتعليق انتقل الى تحديد أقسام التعليق معقبا عليها بقوله.. فهذه هي الطرق والوجوه في تعليق الكلم بعضها ببعض وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه

وفي قوله كذلك.. هذا هو السبيل فليس بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا أو خطأ أن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معاني النحو قد اصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فأزيل من موضعه واستعمل في غير ما ينبغي، فلا ترى كلاهما قد وصف بصحة النظم أو فساده أو وصف بمزية أو فضل وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصول ويتصل بباب أبوابه.[3]

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن عبد القاهر الجرجاني ينص على معاني النحو و قوانينه واحكامه صرفيا التي هي ضابط العلاقات السياقية تعليق وهي مرجع الصحة والفساد المزية والفضل والكلام رهين هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته،

---

[1] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، مرجع سابق ، ص188-189.

[2] المرجع نفسه ، ص04.

[3] تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها ،ص65.

وكلما كانت هذه العلاقات مطابقة المعاني النحوية كان الكلام فصيح وكلما فسدت فسدا وخرج عن أن يكون فصيحا.

التعليق الذي قصده الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ بين أنفسها، والمزية ترجع إلى المعاني والأغراض لأن اتساق الألفاظ وإنسجامها وترتيبها إنما يكون بحسب معانيها النفس وأوضاعها في العقل.

فالألفاظ هي المعاني ومن هذا الربط يتكون النظم في التعليق بمعناه العام عند الجرجاني يقترب جدا من مفهوم الاتساق عند اللسانيين اذا هو الحبك أو الانسجام.

هـ – الصياغة

يقول الجرجاني.. انما سبيل هذه المعاني سبيل السباق الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما انك ترى الرجل قد تهدى في الإسباغ التي عمل منها الصور والنقوش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التدبير في نفس الأسباب وفي موقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها، وترتيبه اياها إلى ما لم يهتد إليه صاحب فجاء نقشه من ذلك أعجب وصورته اغرب، كذلك حال الشاعر وكذلك في توخي معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم.[1]

فالتصوير والصياغة كلاهما سبيل الكلام والمعنى الذي يقع فيه التصوير، كالقضاء أو الذهب مادة الفن والمزية في الكلام النظر إليه بمجرد معناه فقط.

الصياغة عند الجرجاني دلالة على جلاء الصورة الأدبية ومراعاتها وفي ذلك يقول..

ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار..."[2]

يتضح مما سبق أن أساس المفاضلة بين المعاني عند الجرجاني هو الصور والتصوير، فالحكم ببلاغه الكلام وحسن او عدم بلاغته وحسنه لا يرجع إلى مجرد معناه، بل يرجع

[1] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص59-60.
[2] المصدر نفسه ، ص196-197.

إلى براعة الصياغة وحسن معرضة، لأن العمل الادب أساسه الذوق والجمال والبر وهذا ما أشار إليه ابو هلال العسكري حيث اشترط في الكلام لكي يكون بليغا ان يكون مقبول الصور حسن المعرض فيقول .. وانما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام اذا كانت عبارته رثة ومعرضه حلقا لم يسمى بليغا وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى.[1]

للجرجاني فهم خاص للصورة يخالف به مصطلح الصورة بالمعنى الفني الضيق الشائع من مؤلفات نقد الأدب، والذي تدرج فيه وجوه المجاز والاستعارة والكناية والتمثيل، وإنما يستعمله في معنى اعم قريب من استعمال المنطقه وقت يقابلون بينها وبين المادة وهي عنده درجة من التجريد العقلي يستخلصها الناظر من الأشكال اللغوية المماثلة في النص بعد سيرها النظر والفكر.[2]

نستنتج مما تقدم أن جمال العبارة في رأي الجرجان متولد عن نظمها وترتيبها وفق ترتيب المعاني القائمة في الذهن، وأن النظم بالمعنى الذي حدده خاصية موجودة في الكلام البليغ دون غيره من مستويات الكلام الأخرى.

وخلاصة القول أن عبد القاهر الجرجاني قد تأثر بمن سبقه من العلماء،واستطاع لحسه الصادق وذوقه المرهف أن يوضح والشواهد العديدة وتخليها، أن المزيه لا ترجع الى الألفاظ المجردة، ولا إلى المعاني العامة أو المعاني اللغوية للألفاظ وانما ترجع إلى النظم الذي هو توخي معاني، النحو الذي يقوم على ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالته في النفس، ترتيبا ينشأ عن معاني إضافية، وهي معاني ترجع إلى الإسناد ، المتكلم ينظم أفكاره ويرتبها في ذهنه وينسقها في العقل، فلفظ يتبع المعنى في النظم ، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس مقدما على غيره وجب ان يكون اللفظ الدال عليه اولا وقبل غيره من الألفاظ، وبقدر ما يكون ترتيب الألقاب وفق ترتيب المعاني في النفس تكون البراعة

[1] أبو هلال العسكري : الصناعتين ، مصدرسابق ، ص19.
[2] الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص317.

ويكون، فالمتكلم البليغ أديب الجيد وفق ترتيب المعاني الأفكار التي تكونت في ذهنه وضحت في عقله.[1]

[1] جيسوني عبدالفاتح فيود : دراسات بلاغية ، مطبعة السعادة ، ط1،القاهرة ،1989م،ص51.

الخاتمة

الخاتمة

وأخيرا توقفت رحلة بحثنا التي طافت بين ثنايا كتاب دلائل الإعجاز نظريته الشهيرة عند عبد القاهر الجرجاني، وما بقي لنا الا أن نسير الى حصاد أهم النتائج المستخلصة والتي نجملها بإيجاز في النقاط التالية:

أولا: في كتابه" دلائل الاعجاز" لم يكن الجرجاني يهدف الى الحديث عن البيان القرآني كما يتوهم البعض، ولكنه كان يهدف الى الوسيلة التي تؤدي الى فهم الإعجاز القرآني وبيان أسراره، لا في الإعجاز نفسه، وبالتالي كانت دراسته دراسة فاحصة لكل الملاحظات البلاغية المتصلة بالإعجاز القرآني

ثانيا: انتفع عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" كثيرا من الروافد اللغوية والبلاغة التي سبقته، ولكنه لم يكن محاكيا ولا مقلدا لها، بل عالجها بطريقه ميزته عن السابقين وكان رافده الاساس في ذلك، بحر القران الكريم والسنه وعلم الكلام

ثالثا: اخرج عبد القاهر البحث النحوي من جنوده وحرره من قيوده الصواب والخطا، واضاف له سمة جديدة تحفظ له الديمومة والتجدد، فاستطاع بذلك أن يعالج النحو بطريقة جديدة من خلال ربطه بالبلاغة بطريقه جديده، وهذا ما نتطلع اليه ونصبوا إلى تعليمه

رابعا: كان عبد القاهر الجرجاني في كتاب" دلائل الإعجاز" يسوق النصوص ويحلل الأفكار، تحليلا دقيقا، ثم ينقذها بلاغيا ولغويا مدعما رأيه بالشواهد القرآنية والابيات الشعرية، فكان منهجه أن يكثر الأمثلة والشرح من اجل ابراز فكرته بالادلة الثابتة ، والحجج الدامغة

الملاحق

التعريف بعبد القاهر الجرجاني

وهو عبد القاهر الجرجاني ابن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني ،فارسي الأصل ،العلامة النحوي واللغوي والمصنف والإمام، والفقيه الشافعي، والمتحدث وشيخ اللغة المتكلم في زمانه على طريقة الأشعرية، و واضع أصول علم البلاغة، الذي تميز فيه بعلمي المعاني والبيان، واشتهر هذا الإمام بقناعته وروعته وحسن إمامته، و غزارة علمه وسعة اطلاعه وكثرة تصانيفه الجليلة من بين الأدباء، فذاع صيته في مدينة جرجان، وقصده الناس من مختلف الجهات للاستفادة والتزود من معارفه.[1]

- مولد عبد القاهر الجرجاني:

لم يتذكر المترجمون بوضوح تاريخ ميلاد العلامة عبد القاهر الجرجاني أو معلومات وافية حول نشأته وعائلته، ولكن أشارت الكتب التاريخية إلى أنه كان ينتمي إلى أسرة فارسية الأصل، الجرجاني, الدار وأنه ولد ونشأ في مدينة جرجان المشهوره بين طبرستان وخراسان في بلاد فارس، وأمضى حياته فيها، كما أشاد البعض بمكانته وأخلاقه الحميدة ومعارفه الواسعة التي دفعت الكثيرين للإعجاب به ومجالسته والنهل من علمه.[2]

- تعليم عبد القاهر الجرجاني

حظي عبد القاهر الجرجاني بتعليم متواضع في بالنظر لنشأته في أسرة بسيطة وميسورة الحال، وعدم قدرته على الترحال والخروج من جرجان للدراسة في الخارج ، لكنه أظهر نباغه وولعا وذكاء وفطنة شديدة كرسها نحو العلم والنحو، وتتلمذ على يد معلمين اكفاء وعلماء مميزين في جرجان، وتبحر في الأدب والنحو، وقرأ كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، واستفاد منه بالإضافة إلى التثقف والتطلع الذاتي، وتتلمذ على آثار الشيوخ وعلماء اللغة العربية الاقدمين، فنقل عن سيبويه وأبي علي الفارسي، و الجاحظ وقدامة بن جعفر، والزجاج وأبو هلال العسكري وغيرهم، فغدا مؤسس علم البلاغة واحد المتقدمين فيه، وألف العديد من الكتب الهامة في هذا

[1] رحاب صالح الطاهر عبدالرحمان : الشواهد القرآنية البلاغية في كتاب دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ، ص9-10، بتصرف.

[2] غدير أحمد بن حمدان : أثر عبدالقاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة ، ص11 بتصرف.

المجال، أبرزها كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة، وذلك سعيا منه لبيان اعجاز القران وفضله على النصوص الأدبية التي تشمل الشعر و النثر،وكونه رجلا فاضلا اتسم بالورع والتقوى ،بالاضافة الى مساهمته بالعديد من المصنفات القيمة والمتنوعة التي خلفها الأجيال من بعده، والتي تضمنت الشعر والادب، وعلوم القرآن واللغة، والنحو والصرف، والبلاغة وغيرها.[1]

-منهج عبد القاهر الجرجاني اللغوي والبلاغي:

كان للإمام عبد القاهر الجرجاني رؤية خاصة في ربط علوم البلاغة بالإرث النحو والعربي، فتميز وعمل وفقا لها سعيا منه لإكمال النقص، وفك الغموض الذي لازم الألسنة العربية في زمانه، إذ كان يرى البلاغة بعيدة عن الاستعمال الصحيح حينها، وهو ما تجلى بوضوح في كتابه دلائل الإعجاز، فعرض قواعد النظم ومفاهيمه وفوائده، ومن أبرز السمات التي ميزت منهجه ما يأتي:[2]

* التزام النحو وأصوله من النواحي الشرعية، إذ كان عبد القاهر الجرجاني اماما ملتزما بأحكام القرآن الكريم وعلومه، وبالتالي استقى مادته المعرفية من علوم النحو العربي، واظهر قوة الاستشهاد والتمثيل النحو في كتابه الإعجاز والتفسير.

* الاطلاع على أعمال العلماء السابقين في زمانه والتأثر بهم، خاصة استاذه أبي الحسين الفارسي، والقاضي أبي الحسن الجرجاني، إضافة تتاثر باراء الجاحظ وسيبويه وغيرهم.

* انتاج التفكير الفلسفي، واتباع التفسير المنطقي لقضايا ومسائل اللغة المختلفة، فكان يتبنى فلسفة العقل والمنطق لاقرار الاحكام، وتعليل الافكار، وتخريج الاراء، وترسيخ الدلائل وبسط الحجج، ومن هنا يعد الإمام الجرجاني من علامات المنطق يستند في علمه على الركائز العقليه والاصول الثقافيه، فجعل الشعر والخطابه ايضا فنون منطقيا تباينت فيها البراهين اليقينية، واستدلالات المختلفين والمجادلين من أهل السفسطة ، إضافة لتبني قواعد النحو واستنطاق مفاهمه بحيث تتلائم مع بناء قواعد البلاغة ومعانيها وبيانها.

[1] نادي أبو عزيز ونبيلة سيد علي : البلاغية عند القاهر الجرجاني ، ص11-12 بتصرف.
[2] عبدالرحمان البار : عبدالقاهر الجرجاني حياته ومؤلفاته ومنهجه اللغوي ، ص8-11.بتصرف.

– أساتذة عبد القاهر الجرجاني:

تتلمذ عبد القاهر الجرجاني على يد نخبة من المعلمين ابرزهم:

*الشيخ أبو حسن محمد ابن الحسن بن محمد عبد الوارث الفارسي أستاذه الأول في علم النحو.

* القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني قاضي جرجان من قبل الصاحب ابن عباد.

–مؤلفات عبد القاهر الجرجاني:

من أبرز مؤلفات عبد القاهر الجرجاني ما يأتي:

* **كتاب دلائل الإعجاز:** وهو كتاب يستدل فيه عبد القاهر الجرجاني بالقرآن الذي رفع شأن اللغة العربية، وميزاتها عليها الفصاحة، خاصة وأن آيات القرآن الكريم بماهيتها وعباراتها العربية لم تشبه آيات الرسل الأقدمين، كما لم يتمكن أحد من نظم أشباه لها. [1]

*كتاب درج الدرر في تفسير الآيات والسور :يعد هذا الكتاب من كتب التفسير القيمة التي يهتم بها باحثو العلوم القرآنية بصورة خاصة، وغيرهم من المتخصصين في العلوم الإسلامية بشكل عام، وقد ألفه الإمام عبد القاهر الجرجاني ،ويقع في نطاق دراسات علوم القرآن الكريم، وما يتصل بها من تخصصات تتعلق بتفسير القرآن العظيم.6

–كتاب اسرار البلاغة في علم البيان

وهو من أهم مؤلفات العلامة عبد القاهر الجرجاني، واشهرها التي تخص علم البلاغة، إذ يعد كندا من الكنوز الادبيه، يسلط فيه الضوء على علم البلاغة وأصوله، ويعد عمدة فيه لكون الجرجاني إمام البلاغة الأقدر في عصره، ومن جهة اخرى فقد أورد في كتابه الكثير من المعلومات القيمه حول الجناس والسجع، والمجاز، والتشبيه والاستعارات ، والمزيد من فروع علم البيان، بالاضافة الى الاكثار من ذكر الشواهد، والأمثلة على كل ذلك.[2]

– أبيات من شعر عبد القادر الجرجاني:

[1] بدالقاهر الجرجاني : درج الدرر في تفسير الآي والسور ، ص1 بتصرف.
[2] عبدالقاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص1بتصرف.

تميز العلامة الجرجاني بكتابته للشعر والقصيدة في النظم، ومنها الأبيات التالية في مطلع كتابه دلائل الإعجاز:[1]

أني اقول مقال لست أخفيه *ولست أرهب خصما ان بدا فيه

ما من سبيل إلى إثبات معجزة* في النظم إلا بما أصبحت أبديه

فما لنظم كلام انت ناظمه* معنى سوى حكم إعراب تزجيه

اسم يرى وهو أصل للكلام فما* يتم من دونه قصد لمنشيه

وآخر هو يعطيك الزيادة في* ما انت تثبته او انت تنفيه

تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ* لقى له خبرا من بعد تثنية

وفاعل مسند فعل تقدمه* إليه يكسبه وصفا ويعطيه.

– وفاة عبد القاهر الجرجاني:

توفي الإمام عبد القاهر الجرجاني في مسقط رأسه في مدينة جرجان في عام471هـ ، كما رجح في كتاب التراجم. [2]

– خلاصة اهداف كتاب دلائل الإعجاز والغرض من تأليفه

* مقدمة تحدث فيها عن مكانة العلم، وعن الشعر والنحو، ومهد الكلام في الفصاحة والبلاغة، وفي إعجاز القرآن، وتحقيق القول في البلاغة والفصاحة، ثم انتقل إلى الكناية والاستعارة والتمثيل والاستعارة ، ورجح الكناية والاستعارة والتمثيل، ليبدأ القول في نظم الكلام ومكان النحو منه، عارضا مزايا النظم بحسب المعاني والاغراض، مشيرا الى انه في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع.

*** أهم المحتويات كما وردت في الفهرس**

[1] أحمد عاطف محمد كلاب : منهج الجرجاني في عرضه المسائل النحوية ، ص16 بتصرف.
[2] أحمد عاطف محمد كلاب :مرجع سابق ص19بتصرف.

جاء الباب الأول في التقديم والتأخير مكونا من مدخل، تحدث فيه عن مواضع التقديم والتأخير في: الاستفهام، النفي، الخبر، وغيره قاعدة عامة،ثم انتقل إلى الحديث عن تقديم النكرة على الفعل وعكسه.

وجاء الباب الثاني في الحذف مكونا من مدخل، ثم تحدث عن حذف المبتدأ، والمفعول به وخلص إلى نتيجة ، لينتقل بعدها إلى الباب الثالث الذي عنونه بالفروق في الخبر" تقسيمه" ضمه الباب مدخلا تحدث بعده عن الفروق في الخبر :الاسم والفعل في الإثبات والتنكير في الإثبات، القصر في التعريف، نكت اخرى للتعريف ، بالذي ،لينتقل بعدها الى الحديث عن الفروق في الحال.

أما الباب الاخير وهو بعنوان الفصل والوصل ضم ايضا مدخلا.

– أصالة المادة العلمية في محتوى دلائل الإعجاز

والتي يمكن الاستدلال من حجم الاقتباسات من كتب اخرى، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب إعجاز القرآن الكريم، إذ وضح لنا من خلال أهمية معنى النحو والبلاغة من خلال الاستعانه بالقرآن الكريم، كما قد جمع فيه خلاصة الآراء النقدية لما سبقه من أعلام العربية في هذا المجال، رافدا أفكارهم وجهودهم ارائه وافكاره ومنهم: الواسطي في كتابه إعجاز القرآن في نظمه، وأبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين ، عبد الجبار المعتزلي .

فهم وان سبقوا الجرجاني في حديثهم عن النظم، إلا أن الفضل يعود للجرجاني في شرح وتبسيط فكرة بما يسمى" نظرية النظم"، ومن هنا تكمن أهمية الكتاب في ربط الجرجاني علم النحو بعلم، والتأكيد على أهمية انتظام اللفظة المفردة مع المفردات الاخرى في الجمل، إذ لا قيمة لها في ذاتها، مؤكدا على أهمية انتظام المفردات مع ما قبلها وما بعدها، وبالتالي تؤدي المعنى الذي يقصده المتكلم لتلتقي بذلك بلاغة الكلمة وفصاحتها وفق تطبيق نظرية النظم التي بناها على أساس أربعة وردت على الترتيب الآتي:

* التقديم والتأخير: فلما كان للكلام ترتيب منطقي معين رأي الجرجاني عن تقديم كلمة على

أ– تقديم اسم على آخر أو تأخيره عنه.

ب- تقديم الفعل او الاسم وتأخيرها.

ج- الحرف وتعلقه بالاسم او الفعل.

* الحذف: ويرتبط بسابقة، فالحذف هو الخطوة التي تلي التقديم تأخير، ويتم من خلاله تعديل وتنسيق الكلام بطريقة أقرب إلى ذهن المتلقي، ففصل :

أ-حذف الاسم وذكره.

ب- حذف الفعل.

ج- حذف الحرف.

* الفروق: وتختص بالخبر، ويميز فيه بين خبر المبتدأ في الجملة الاسمية، وبين الخبر الذي يعد زيادة في خبر آخر سابقا له، فتناول :

أ-الجملة التي يكون الاسم المكون الاساس لها.

ب- الجملة التي يكون الفعل المكون الأساسي لها.

ج- الجملة التي يكون الحرف المكون الأساسي لها.

* الفصل والوصل: وهو المرحلة الأخيرة في عملية إنشاء الكلام، إذ يميز الجرجاني بين الوصل والفصل بين الجمل، وبين الوصل بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، فتناول بالحديث: الوصل والفصل الاسم، الوصل والفصل الفعلي، الوصل والفصل في شبه الجملة.

* ثم أورد خاتمه تليها فصول ملحق بالكتاب.

فوائد جنيتها من الاطلاع على كتاب دلائل الإعجاز:

إن اطلاع على هذا الكتاب، مكنني من معرفة المنازل الرفيعة التي ينالها عبدالقاهر الجرجاني، اذ ان علم البلاغة بدأ مع الجاحظ، ومن ثم مع ابن المعتز واضع الأسس البلاغية، ومن ثم توطدت أركان البلاغة مع أبي هلال العسكري الذي خص البلاغة وجعلها علما مكتمل الاركان

وقائما بذاته، ومن ثم جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي كان أفضل من أدرك علم البلاغة و لطائفه، فاستخدمه لإدراك جماليات الشعر والأدب.

كما مزج التنظير والتطبيق، فكان مثالا يحتذى لا يدانيه احد في صنيعه، وعلى الرغم من الزمخشري كانت تلميذا للإمام عبد القاهر الجرجاني، إذ تابع عمله ونهجه في كتابه الكشاف، لكن كل اللاحقين لهما لم يسيروا على نهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، فأصبحت القواعد البلاغية قواعد جافة صلبة،خالية من التذوق الجمالي.

وربما نستطيع القول أن الامام الفخر الرازي اول من قعد البلاغة ، وجعل لها قوانين صلبة ف تخالف طبيعتها، ومن ثم اتى السكاكي ويقسمها إلى ثلاثة اقسام: البيان والمعاني والبديع، ليصبح تقسيمه هو الأكثر شيوعا في الدراسات البلاغية.

جعل الإمام عبد القاهر العلوم البلاغية مفاتيح، يطبقها على الشعر والأدب والقرآن، فهو عد تلك العلوم هي مفاتيح تذوقيه تنطلق من الشعور الجمالي في النفس، وتتزامن مع تموجات الخاطر ومن الخيال وأبعاده .

وبهذه العزيمة التحليلية، مضى الامام عبد القاهر الجرجاني يستنتج القاعدة البلاغية من النص، او يدمج التطبيق بالتنظير بعد طول دراسة وتحليل.

فالإمام الجرجاني يبحث عن الجمال في النص الأدبي، لا يهدف من وراء ذلك الى زيادة التسميات البلاغية، ولا يسعى لتأسيس قاعدة بلاغية مما جعله على رأس الهرم البلاغي حتى يومنا هذا، فالإمام سار على هدي من التأمل الذوقي والجمالي.

إذ سعى إمام البلاغة يتحدث عن ألوان البديع ذاكرا الامثله الكثيره، مبينا مواطن الشاهد ومفسرا موضحا له، ثم يأتي بمثله ليقارنها به، يظهر جماله أو قبحه، مركزا على السجيه وما يناسب الطبع، وكانت المعاني هي المنطلق الاساسي الذي استند عليه الجرجاني في قراءة الألفاظ والتراكيب، فالسمة الأساسية التي اتسم بها تحليل الجرجاني هي البحث والكشف عن مكان الجمال في النص الشعري، إذ يحلل ويركب ويناقش ويستنتج، ويصل الى مكامن الجمال ومن ثم

يوصلنا اليها، وفي تحليلات الجرجاني لا نشعر ان البلاغة هي عبارة عن قواعد صلبة جامدة ، بل ان تقسيماته العقل والذوق كذلك.

الخاتمة:

لكل علم رموزه وأعلامه التي سرعان ما تتبادر اسمائهم الى الذهن بمجرد ذكر العلم الذي برعوا فيه، إلا أن ما يميز عبد القاهر الجرجاني انه عالم موسوعي جمع المجد من اطرافه، اذ برع في النحو والصرف والبلاغة فكان بحق أحد أبرز العلماء العربية الذين أثروا المخزون التراثي العربي بأعماله التي ما زالت مصدرا أساسيا يعتمده الباحثون إلى يومنا هذا. وما زالت نظرية النظم الجرجانية محورا لا يمكن تجاوزه في البلاغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

الشعر :

- ديوان البحتري: لمحقق دلائل الاعجاز .
- البيت للصمة : ابن عبدالله القشري في شرح سماحة أبي تمام ، للتبريزي ،ج3.
- البيت في ديوان أبي تمام .

الكتب:

- أبوبكر البقالاني : إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر ،ط5، دار المعارف، القاهرة مصر.
- الجاحظ عمر بن بحر: البيان والتبين ، تح: عبدالسلام محمد هارون ، ط1، دار الجيل بيروت لبنان ، 1990م.
- الجرجاني الشريف : معجم التعريفات ، تح : محمد المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ،1413هـ.
- الجرجاني عبدالقاهر : دلائل الاعجاز ، تح :محمد رشيد رضا ، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1982م.
- الجوهري : الصحاح تاج اللغة العربية، تح: عبدالغفور عطار ، ط3، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1984م.
- الخطابي أبي سليمان :البيان في الاعجاز القرآني ، تح : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول ، ط4، دار المعارف ، القاهرة مصر .
- ابن دريد : جمهرة اللغة ، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد 1344هـ.
- الرُّماني أبي حسن : النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله ،ط4، دار المعارف ، القاهرة مصر.
- سيبويه: الكتاب ، تح : محمد عبدالسلام هارون ، ط1،دار الجيل ، بيروت لبنان .

- العسكري أبو هلال : الصناعتين ، تح : علي البخاري أبو الفضل ، ط2، دار الحياء الكتب العربية ، 1372هـ.
- الفراهيدي الخليل أحمد : كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السمورائي [د.ت].
- ابن منظور : لسان العرب ، تح : الصادق عبيدي وأمين وهاب ، ط1، دار التراث العربي ، بيروت لبنان .

ثانيا : المراجع

- بسيوني عبدالفاح فيود : دراسات بلاغية ، ط1، مطبعة السعادة ، القاهرة مصر،1989م.
- تمام حسان : اللغة العربية مبناها معناها ، ط4، عالم الكتب ، القاهرة مصر ، 2004م.
- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره ، منشورات الجامعية التونسية ، 1981م.
- دراز محمد عبدالله : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، ط1، دار القلم ، الكويت ،1977م.
- دهان أحمد علي : الصور البلاغية عند الجرجاني منهجا وتطبيقا ، ط1، ج1،دار طلاس ، دمشق سوريا .
- أبوزيد أحمد : نظرية النظم بين المعتزلة والأشاعرة ، مجلة كلية الآداب والعلم والانسانية ، 1988م.
- سلام محمد زغلول : أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ط3، القاهرة مصر.
- مجدي وهيبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات في اللغة العربية والأدب ، ط4، مكتبة لبنان ، 1989م.
- نجاح أحمد عبد الكريم الظهار :أثر استحدام النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التذوق الادبي لدى طالبات اللغة العربية،ط1،مكتبة العبيكان،الرياض،1427هـ.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويـــــــــــات

الموضوع **الصفحة**

الشكر والعرفان.....

مقدمة..... أ

المدخل..... 03

تعريف النظم في اللغة والاصطلاح..... 04

الفصل الأول : فكرة النظم عند العرب..... 13

أولا: عند علماء الاعجاز القرآني..... 14

ثانيا : الروافد النحوية 32

ثالثا : الروافد البلاغية..... 33

الفصل الثاني: نظرية النظم عند القاهر الجرجاني..... 36

أولا : نظرية النظم عند الجرجاني..... 37

ثانيا : معنى النظم عند الجرجاني 44

ثالثا: أسس النظم عند الجرجاني..... 47

الخاتمة..... 55

الملاحق 58

أولا: التعريف بالجرجاني..... 59

ثانيا : تلخيص كتاب دلائل الاعجاز..... 62

قائمة المصادر والمراجع 69

فهرس المحتويات..... 73

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كليـــة الآداب واللغـــــــات
قســـــم اللغة والأدب العربي
الموسم الجامعي: 2022/2021

المسيلة في: **2023/05/31**

استمارة اقتراح لجنة مناقشة مذكرة ماستر

المشرف: أ.د جـــلول دقـــي

الطالب(ة): **وردة لطيسة** تاريخ الميلاد1996/09/28بـ الزرزور.....

الطالب(ة): **أسية حديدي** تاريخ الميلاد.1998/09/04.بـ برهوم.....

التخصص: لسانيات عامة

عنوان المذكرة: **الأصول المعرفية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**

مدونة دلائل الإعجاز أنموذجا

نظرا لإنهاء العمل المذكور أعلاه، واستكماله إجراءات التحضير للمناقشة فإننا نقترح لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة الآتية أسماؤهم:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	الإمضاء
01	د بلقاسم جياب	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	
02	أ.د جلول دقـــي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	
03	د عبد الصمد لميش	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	

المسيلة في: **2023/05/31**

توقيع المشرف 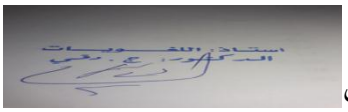

ملخص المذكرة:

اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليل الكلام على توجه عقلي مسبق ،واسس معرفية واضحة تيسرت له باعتقاد مطلق مفاده أن" قضايا العقول هي عيد والأسس التي ينبني غيرها عليها، والأصول التي يرد ما سواها إليها" فنجح في تطوير فكرة" النظم" ،واتخذها سبيلا الى تحليل أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز معا.

وقد استفاد عبد القاهر الجرجاني من جهود سابقيه من أعمال الجاحظ الباقلاني والقاضي عبد الجبار وغيرهم في تحديد مفهوم النظم ،وإرساء أسس من جهة وربطها بالإعجاز القرآني من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: النظم، الروافد النحوية، الروافد الأصولية، عبد القاهر الجرجاني.

Summary :

Abdul-Kahr al-Jarjani's speech analysis relied on a prior mental orientation, And clear cognitive foundations facilitated him by the absolute belief that "issues of minds are Eid and the foundations on which others are based, Other assets "succeeded in developing the notion of" systems ", and took it as a way of analysing both the secrets of rhetoric and the signs of powerlessness.,

Abdul-Kahr al-Jarjani benefited from his predecessors' efforts in defining the concept of regimes, establishing foundations and linking them to Quranic miracles.

Keywords: systems, grammatical tributaries, fundamentalist tributaries, Abdul Qaher Al-Jurjani.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): حديجي أسيا الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: [illegible] والصادرة بتاريخ: [illegible] بدائرة مقرة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الأصول المعرفية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

11 جوان 2018

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): لعليسة وردة الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: [illegible] والصادرة بتاريخ: [illegible] بدائرة المسيلة

المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها:

الأصول المعرفية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

2025-09-11

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

تم بحمد الله